



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة عباس لغرور -خنشلة-



- كلية الآداب واللغات
- قسم اللغة والأدب العربي
- شعبة: اللغة والأدب العربي
- تخصص: أدب عربي قديم

التأثير الإباضي في النثر الرستمي رسائل الإمام أفلح انموذجا

بحث مقدم لقسم اللغة والأدب العربي لاستكمال مواد شهادة ماستر 2

إشراف الأستاذة:

نورة بوغفال

الطالبة:

سعاد موسى

أعضاء لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
الوردي غنيمي	أستاذ محاضر "ب"	جامعة عباس لغرور -خنشلة-	رئيسا
نورة بوغفال	أستاذ مساعد "أ"	جامعة عباس لغرور -خنشلة-	مشرفا ومقررا
خميسة مزيتي	أستاذ مساعد "أ"	جامعة عباس لغرور -خنشلة-	مناقشا

السنة الجامعية: 1439هـ/1440هـ الموافق لـ: 2018م/2019م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

شكر وعرفان

لحمد لله وكفى والصلاة والسلام على المصطفى
أتقدم بجزيل الشكر وعظيم الامتنان للأستاذة "تورة بوغقال" لما قدمته لي من
إرشادات ونصائح قيمة.
كما أتقدم بالشكر والتقدير للأستاذة أعضاء لجنة المناقشة الدكتور: الوردي
غنيمي، والأستاذة خميسة مزيتي وذلك لتقبلهم مناقشة هذا العمل وتقييمه
كما أشكر كل أساتذة كلية الآداب واللغات.
كما لا يفوتنا أن نشكر كل من ساهم من قريب أو بعيد في إنجاز هذا العمل
المتواضع فلهم جميعا مني فائق التقدير والثناء جزاهم الله كل الجزاء.

سعاد موسى.

الإهداء

إلى من جرع الكأس فارغاً ليسقيني قطرة حب
إلى من كلّت أنامله ليقدّم لنا لحظة سعادة
إلى من حصد الأشواك عن دريليمهد لي طريق العلم
إلى القلب الكبير (والدي العزيز).
إلى من أرضعتني الحب والحنان
إلى رمز الحب وبلسم الشفاء
إلى القلب الناصع بالبياض (والدتي الحبيبة).

إلى القلوب الطاهرة الرقيقة والنفوس البريئة إلى رياحين حياتي (إخوتي:

(إلياس، بيبي، ديدين، نوفل) وقرة عيني خولة

إلى الروح التي سكنت روحي أحلام، ابتسام، حياة.

الآن تفتح الأشرعة وترفع المرساة لتنتقل السفينة في عرض بحر واسع مظلم

هو بحر الحياة وفي هذه الظلمة لا يضيء إلا قنديل الذكريات ذكريات الأخوة

البعيدة إلى الذين أحببتهم وأحبوني (أصدقائي).

وإلى كل من ساعدني من بعيد ومن قريب ولو بحرف واحد.

سعاد موسى

مقدمة

يعتبر الخوارج من الطوائف الإسلامية التي ظهرت في مرحلة من مراحل التاريخ الإسلامي وهذا الموضوع شغل بال الكثير من مفكري الإسلام وعلمائه، لما لاحظوه من تطرف وغلو في أفكارهم ومبادئهم، فكانت عقيدتهم ومنهجهم في بداياتهم في شكل آراء شخصية وجماعات صغيرة متفرقة، وتعود الإرهاصات الأولى للظهور والإعلان عن هذا الحزب السياسي إلى الخلاف الذي وقع بين الصحابة والذي أدى إلى انقسام المسلمين إلى فئتين علي بن أبي طالب رضي الله عنه من جهة، ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه من جهة أخرى، انتهى خلافهما إلى معركة صفين 36هـ. والتي يترتب عنها ما يعرف "بحادثة التحكيم"، فرفعوا شعارا صار رمزا لتحركهم وهو "لا إله إلا الله"، وقد انقسمت الخوارج إلى فرق كثيرة تصل إلى عشرين فرقة يظهر أن أشهر فرقها وأكبرها، الأزارقة النجدات، الصفرية، البيهسية، العجاردة والإباضية.

وهذه الأخيرة تكاد تكون الفرقة الوحيدة من فرق الخوارج التي ظلت محتفظة باسمها وتماسكها إلى الوقت الحاضر، فهي تتواصل بفكرها مع فكر المحكمة الأوائل لها فكرها الذي تعتمد عليه وأساسها الذي تنطلق منه.

فالدارس لتاريخ الإباضية وعقائدهم يدرك بجلاء كونهم من الخوارج، والذي يميز هذه الحركة أنها لم تسلك سلوكا متطرفا، بل ظلت وفية لمسلك الاعتدال الذي تبناه المحكمة الأولى.

وتتبلور أفكار البحث في الإجابة عن تساؤلات مفادها: ما هي الإباضية؟ من هو مؤسسها؟ وما هي أهم فرقهم وأشهر أئمتهم؟ متى نشأت الدولة الرستمية؟ ومن هو مؤسسها؟ وما هي حدودها؟ وأشهر أئمتها؟ هل يعد النثر الفني معلما بارزا في الدولة الرستمية؟ وما هي أهم الفنون النثرية التي انبثقت عنه؟ من هو أفلح بن عبد الوهاب؟ وكيف تجلت عقائد الإباضية في رسائله، وتهدف هذه الدراسة إلى معرفة معالم الفكر الإباضي، من خلال النثر الرستمي متخذين الإمام أفلح ورسائله انموذجا لتوضيح ذلك ويعود سبب إختيارنا لهذا الموضوع إلى ميلنا للنثر الفني على حساب الشعر ودراسة فن من فنونه بالإضافة إلى أننا نرى أن النثر القديم وبخاصة فن الترسل لم يحظى بالدراسة التي حظي بها الشعر، مع المساهمة في إحياء التراث الجزائري القديم الذي هو جزء لا

يتجزء من هويتنا، وقد اعتمدنا على دراسات سابقة مهدت لي الطريق في إنجاز هذا البحث وزادته وضوحاً أهمها، رسالة لاستكمال متطلبات درجة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها كلية الدراسات العليا الجامعة الأردنية المسومة ب: أثر الفكر الإباضي في الشعر العماني في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين، دراسة أسلوبية، من إعداد محمود بن مبارك بن حبيب السليمي، تحت إشراف الدكتور عبد الجليل عبد المهدي، تموز 2001، نوقشت هذه الرسالة بتاريخ 2001/07/26م.

ومذكرة تخرج مقدمة لنيل شهادة الماستر الموسومة ب: فن الترسل في العهد الرستمي، دراسة أسلوبية، تخصص حضارة عربية إسلامية من إعداد الطالبتين: بن غوتي خيرة و عبد اللّوي فتحة تحت إشراف الأستاذ المحترم الدكتور طالب أحمد، جامعة تلمسان، السنة الجامعية 2013م/2014م، كذلك مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر بعنوان: الخطابة في العهد الرستمي، دراسة أسلوبية، من إعداد الطالبين: رندة شايب وكنزة طاهري، تحت إشراف الدكتور، محوي أحمد، جامعة العربي بن مهدي أم البواقي، السنة الجامعية، 2017م/2018م.

وقد اهتمت هذه الدراسات بتناول نصوص نثرية رستمية من خلال مقارنة أسلوبية، مركزين في ذلك على شكل النص على حساب المضمون، أما الباحثة فقد إنفردت في دراستها، فقد اعتمدت على دراسة نماذج من الرسائل الرستمية للإمام أفلح محاولة في ذلك إبراز مدى تأثير المذهب الإباضي في هذا الفن النثري الرستمي، مركزة على شكل النص و مضمونه معاً، واقتضى موضوع البحث أن يكون المنهج المتبع هو: المنهج الوصفي بمعىة إجراء التحليل والمنهج التاريخي، المنهج الجمالي كون أن هذه المناهج تساعد في تحقيق غايات البحث.

وقد وضعنا خطة تمكنا في التحكم في موضوع البحث وتساعدنا في تحقيق الأهداف المرجوة منه، فارتأينا أن نقسم بحثنا إلى فصلين: الفصل الأول نظري والفصل الثاني تطبيقي مسبق بمقدمة ومختوم بخاتمة، فالفصل الأول موسوم ب: الإباضية في الدولة الرستمية ينقسم إلى مبحثين: المبحث الأول تناولت فيه الإباضية من نشأتها في المشرق إلى تبنيها مذهباً للرستميين والمبحث الثاني فقد خصصت الحديث فيه عن نشأة الدولة الرستمية إلى غاية سقوطها، أما الفصل الثاني الموسوم ب: النثر الفني في العهد

الرستمي ينقسم أيضا إلى مبحثين، المبحث الأول، تتبعت فيه قضية النشر الفني في العهد الرستمي أما، المبحث الثاني، تقصيت فيه رسائل الإمام أفلح نظريا وتطبيقيا.

وأخيرا خاتمة استخلصنا فيها أهم النتائج المتوصل إليها من البحث. وقد اعتمدنا على مجموعة من المصادر والمراجع أهمها: الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية، لسليمان بن عبد الله الباروني، تاريخ الأدب الجزائري، لمحمد الطمار، الأدب الجزائري القديم دراسة في الجذور، لعبد المالك مرتاض، الدولة الرستمية (160-296هـ/777-296م)، لبجاز إبراهيم، الجزائر الاجتماعية في عهد الدولة الرستمية، (160-296هـ/777-909م)، لبوركية محمد.

وأخيرا أتقدم بالشكر والعرفان والإمتنان إلى أساتذة كلية الآداب واللغات بجامعة عباس لغرور خنشلة وأخص بالشكر قسم اللغة والأدب العربي، كما أتقدم بوافر شكري إلى أستاذتي الفاضلة المشرفة على هذا البحث والمتابعة لمراحل إنجازه، والتي لم تبخل علينا بتوجيهاتها ونصائحها القيمة، لإثراء هذا البحث المتواضع.

وفي الأخير نرجو من الله أن يوفقنا و يسدد خطانا إلى ما فيه الخير والصواب.

الفصل الأول

الإباضية في الدولة الرستمية

I – الإباضية (نشأتها، عقائدها، فرقها).

II – الدولة الرستمية (نشأتها وأئمتها).

1- الأصول التاريخية للمذهب الإباضي:

أولاً: النشأة التاريخية.

ترجع أصول المذهب الإباضي التاريخية إلى قصة أخطر شقاق وأقصى نزاع ظهر في حياة المسلمين، إبان خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وعقب معركة صفين، حين فارقه معظم من كانوا معه استككاراً لقبوله لمبدأ "التحكيم" مع معاوية رضي الله عنهما⁽¹⁾ ويبدو أن هناك عناصر غاضبة وأخرى مدسوسة من مصلحتها تحريك الحوادث نحو الاصطدام والافتتال وتصاعد مجالات الصراع وميادينه. فابن عباس رضي الله عنه حين ناظرهم فيما توهموه من شبه وقع فيها أمير المؤمنين علي رضي الله عنه رجع بعضهم لكن الأكثرية ظلت على موقفها تميل للصراع وتصعيد الأزمة، وكان الذين انعزلوا عن جيش علفيما رواه الحافظ ابن كثير ستة عشرة ألفاً أو اثني عشر ألفاً.⁽²⁾ لكنهم استمروا على حد ما وصفهم به ابن كثير على ضلالهم.⁽³⁾

وقبل احتدام الصراع وبلوغه الذروة بين أتباع الجيش الواحد بل والأمة الواحدة عند "حروراء" بالكوفة فإن أمير المؤمنين قد ناقش عناصر الانفصال عنه والخروج عليه بما كان يجب عليهم أن يسمعوا له ويطيعوا، من أولئك المتجمعين في "حروراء" من قولهم: "انسلخت من قميصاً لبسكه الله واسم سماك به الله ثم انطلقت فحكمت في دين الله ولا حكم إلا الله".

أمر فأذن مؤذن ألا يدخل على أمير المؤمنين رجل إلا رجل قد حمل القرآن فلما امتلأت الدار من فرار الناس دعا بمصحف إمام عظيم فوضعه بين يديه فجعل يصكه بيده ويقول: أيها المصحف!! حدث الناس فناداه الناس: يا أمير المؤمنين ماتسأل عنه إنما هو مداد في ورق، ونحن نتكلم بما رويانا منه فماذا تريد؟ قال: أصحابكم هؤلاء الذين خرجوا بيني وبينهم كتاب الله، يقول الله تعالى في كتابه: (وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْغُتُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا) سورة النساء الآية 35 فأمّة محمد صلى الله عليه وسلم أعظم دماً وحرمة من حرمة رجل وامرأة ونقموا علي

¹ - ينظر: الحافظ ابن كثير، البداية والنهاية، ج7، مكتبة المعارف، بيروت، ط3، 1981م، ص280.

² - المرجع نفسه، ص280.

³ - المرجع نفسه، ص281.

أن كاتب معاوية ، كتبت علي بن أبي طالب، وقد جاءنا سهيل بن عمر ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم: بسم الله الرحمن الرحيم: أكتب باسمك اللهم. فقال رسول الله. أكتب فكتب: هذا ما صالح عليه محمد رسول الله فقال: لو أعلم أنك رسول الله لم أخالفك، فكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله قريشا. يقول الله تعالى في كتابه (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ) سورة الأحزاب، الآية 21.

وهكذا انقسمت الأمة إلى سنة، وهم أصحاب معاوية بن أبي سفيان، وانقسم أصحاب علي على أنفسهم فشكّلوا فرقتين: شيعة بايعوه وساندوه وتبعوه، وخوارج انشقوا عليه وعادوه وعادوا السنة أيضا، تفرع عنهم عدة بطون أهمها الإباضية، هذا المذهب الذي سندرسه في:

ثانيا: الإباضية عقيدة ومنهجها.

أ- دلالة التسمية:

أغلب مصادر المقالات ومدونات الملو والنحل إباضية سواء كان تقي معالجتها أشعرية أو اعتزالية أو سنية سلفية تكاد تجمع على أن نسبة التسمية «إباضي وإباضية» تعود إلى عبد الله بن إباض بن ثعلبة التميمي من بني مرة بن عبيد بن رهط الأحنف بن قيس كان في زمان "معاوية بن أبي سفيان" وعاش إلى زمان "عبد الملك بن مروان".⁽¹⁾ هذا وهناك اختلاف في التلفظ بالهمزة ففي بعض البلدان مثل عمان على حد "ماروبالسمائي"⁽²⁾ يفتحون همزة "أباض" وعلى ذلك تصبح التسمية والنسبة "الأباضية". أما في شمال إفريقيا فيكسرون همزة كلمة إباض، وعليه فتصبح النسبة إليها "الإباضية". ونسبة الإباضية إلى "عبد الله بن إباض" من الأمور التي لا يختلف عليها الإباضيون ولا غيرهم من أصحاب المقالات الأخرى باستثناء قلة قليلة من المؤرخين لا يعتد بها⁽³⁾

¹ - ينظر، سالم بن حميد الحارثي، العقود الفضية في أصول الإباضية، طبعة دار اليقظة العربية في سوريا و لبنان، ص121.

² - ينظر، سالم بن محمود السمائي، الحقيقة والمجاز في تاريخ الإباضية في اليمن والحجاز، وزارة التراث القومي للنشر ، سلطنة عمان ، طبع سجل العرب بالقاهرة، 1400هـ، 1980م، ص 45.

³ - المرجع السابق، ص122.

فالمؤرخ الإباضي "البرادي" فيما نقل عنه الكاتب الإباضي "سالم الحارثي" يقول إن المسلمين بعد مقتل "أبي بلال المرداس" اجتمعوا بجامع البصرة وعزموا على الخروج وفيهم "عبد الله بن إباح ونافع بن الأزرق" ووجه من المسلمين فلما جن الليل سمع "عبد الله" دوي القراء ورنين المؤذنين وحنين المسبحين فقال لأصحابه: اعن هؤلاء أخرج معهم؟ فرجع وكنتم أمرهم واختفى" (1)

إن "عبد الله بن إباح" على ضوء رواية "الطبري وابن الأثير والمسعودي والحافظ ابن كثير وابن أبي الحديد"، وهم على ما بين كل منهم من الانتماء لمنهج يختلف به عن الآخر قد اتفقوا على أن "عبد الله بن إباح" كان مع "نافع ابن الأزرق" في توجه الخوارج إلى الحجاز لنصرة "ابن الزبير"، وقبل قدوم جيش الشام تخلوا عن الرجل بسبب مناظرتهم له في موضوع عثمان بن عفان ولما لم يقرهم إلى ما ذهبوا إليه انصرفوا عنه، أي أن "عبد الله بن إباح" شخصية تاريخية ألتدورا على مسرح الحياة السياسية في الفترة ما بين زمان معاوية إلى أيام "عبد الملك بن مروان".

وذهب المقرئزي (2) من أن الإباضية تنسب إلى شخص يدعى "الحريث بن عمرو" فليس في طبقات الإباضية ولا كتب تراجمهم ما يدل على صحة النسبة إليه.

وقد ذكر «العباس بن منصور السكسي» (3) أن الإباضية تنسب إلى "عبد الله بن إباح" وهو عنده أحد الأئمة البارزين وإلى إمامته يرجع الإباضيون في أحكامهم وأحوالهم. ومن المحدثين الذين ينسبون المذهب للإباضي إلى "عبد الله بن إباح" التميمي "أحمد أمين" الذي يقول: «الإباضية نسبة إلى رئيسهم عبد الله بن إباح التميمي ولا يزال أتباعه في المغرب إلى اليوم». (3)

وحسن "إبراهيم حسن" الذي يقول: «الإباضية من الخوارج وهم أتباع "عبد الله ابن إباح" التميمي وهم يختلفون عن بقية الخوارج فيأنهم لم يغلوا في الحكم على مخالفيهم ولعل هذا يرجع إلى طبيعة ظروف نشأتهم فإن صاحبهم "عبد الله بن إباح" لم يخرج إلا

¹ - ينظر، ابوالعباس أحمد بن علي المقرئزي، الواعظ الاعتبار بذكر الخطط والآثار، ج2، مطبعة دار حامد ، بيروت، ص 455.

² - المرجع نفسه، ص456.

³ - أحمد أمين، فجر الإسلام ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1994، ص 260.

بعد أن قضى الأمويون على الخوارج أو كادوا وبعد أن كاد اليأس يدب إلى الأحزاب، وتحول نضالهم حول الحكم إلى آراء ومذاهب تكاد تكون علمية بحتة.⁽¹⁾ والشيخ "محمد أبو زهرة" يقول: «الإباضية أتباع "عبد الله بن إباح" وهم أكثر الخوارج اعتدالا وأقربهم إلى الجماعة الإسلامية تفكيراً، فهم أبعدهم عن الشطط والغلو ولهم فقه جيد وفيهم علماء ممتازون».⁽²⁾

والمؤرخ الإباضي المعاصر "علي يحي معمر" بعد أن يضع "عبد الله بن إباح" في قائمة التابعين يقول: "عبد الله بن إباح" الذي تنسب إليه الإباضية توفي في أواخر أيام عبد الملك ونسب إليه المذهب لأنه كان أكثر ظهوراً إلى الميدان السياسي عند الدولة الأموية والتسمية منها⁽³⁾ ويقول: «لم يزعم أحد من الإباضية أن "عبد الله بن إباح" رجع إلى قول الثعالبة، ولا يوجد أحد من الإباضية يبرأ منه فهم مجمعون على ولايته ويعتبرون من أئمة المسلمين ومن كبار التابعين».⁽⁴⁾

أما صاحب مختصر تاريخ الإباضية عضو المحكمة الشرعية العليا بطرابلس الغرب فيقول: ذهب المذهب الإباضي في القرن الأول من الهجرة فهو أقدم المذاهب الإسلامية على الإطلاق إذ إن إمامهم المنسوب إليه "عبد الله بن إباح" التيمي وكانت لذاك مع هذا مراسلات ونصائح غالية لعبد الملك تحتم عليه أن يعمل بأوامر الشرع فيعدل في الحكم بين الناس ليستوجب الطاعة التي يدعوهم إليها.⁽⁵⁾

هذا ومما يجدر ذكره في هذا المقام ان صاحب «مختصر تاريخ الإباضية» وهو يعرف بالمذهب وصاحبه ترجم للخليفة عبد الملك بن مروان بأنه ولد سنة 62هـ.. التي توافق 642م وتوفي سنة 82هـ ، التي توافق 705م. أما "عبد الله بن إباح" ولادة ووفاة فقد قال: فلم نقف لهما على أثر.

ونحن بهذه التعريفات وعملية التوثيق التي عرضناها استهدفنا ان نبين العلاقة بين المذهب في مختلف أطواره ومراحلها التي سنتعرض لها بالدراسة مستهدفين الجانب

¹ - حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي، القاهرة، مصر، ط4، 1970م، ص494.

² - أبو الربيع سليمان الباروني، مختصر تاريخ الإباضية، مكتبة وهبة القاهرة، ط1، ص19.

³ - ينظر، علي يحي معمر، الإباضية بين الفرق الإسلامية، مكتبة وهبة، القاهرة، ط1، 1982، ص354.

⁴ - المرجع نفسه، ص354.

⁵ - المرجع نفسه، ص50.

الفصل الأول الإباضية في الدولة الرستمية

العقدي فيه بالدراسة والبحث وبين شخصية "ابن إباط" التابعي على فرض التسليم بصحبته لصحابي أو لبعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والأخذ عنهم حتى يصح وصفه بالتابعي ونحن نرجح كون الرجل تابعيا على ضوء ما جاء عنه في معظم المراجع وخاصة الإباضية.⁽¹⁾

ولقد تعمدنا ونحن نعرف بنسبة المذهب إلى صاحبه وبداية نشأته ألا نعتمد على كتاب المقالات المشهورين من القدماء الذين تقترب مجمل عقائدهم من أهل السنة والجماعة أو الذين يمثلون أهل السنة والجماعة. لأنهم بزعم مؤرخي الإباضية لم يطلعوا على كتبهم، ومن ثم فهم لم يعرفوا حقيقة عقائدهم بالرغم من التقارب الفكري والموضوعي حول الإباضية بين معظم كتاب التاريخ وكتاب المقالات والملل والنحل والأهواء وشرح السنة، ففيما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم بشأن أمر الخوارج قبل وقوعه باعتباره أن الخروج سواء منه ما كان سياسيا أو عقديا هو المناخ التاريخي قبل وقوعه باعتباره أن الخوارج الذي تولدت أو تشكلت فيه الفرقة الإباضية حتى وإن تغيرت وتناقضت الإباضية بعد ذلك مع عقائد الخوارج جملة وتفصيلا.

وهؤلاء الكتاب هم على الترتيب:

- "أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري" المتوفي 330 هـ. في كتابه (مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين).

- "عبد القادر البغدادي" المتوفي 469 هـ ، في كتابه (الفرق بين الفرق).

- "أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم" المتوفي 456 هـ. في كتابه (الفصل في الملل والأهواء والنحل).

- "أبو المظفر شاهر بن طاهر الأسفراييني" المتوفي 481 هـ. في كتابه (التبصير في الدين).

- "أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني" 548 هـ. في كتابه (الملل و النحل)

بالرغم من كل ذلك الحياد العلمي بل والرغبة في إنصاف فرقة الإباضية والوقوف على حقيقة معتقدها وفكرها ورغبة فيما يسميه بعض الباحثين (وحدة الغاية) حول النظر إلى اجتهادات السابقين في تشكيل معالم معتقداتهم المذهبية . خاصة وأن من أنصار

¹ - الشماخي: السير، حجرة قسنطينة ، الجزائر، 1301 هـ، ص 273.

الإباضية المحدثين من جاء وطعن في كتاب الفرق والمقالات جميعا مثل: "علي يحي معمر" لا نستطيع إهمال ما سجله هؤلاء الكتاب وغالبيتهم فيما نعتقد تحري الدقة والتثبت حتى وان وقع في بعض الأخطاء التاريخية خاصة أنه لم يثبت حتى عند الإباضية أن واحدا منهم جرت بينه وبين الإباضية خصومة فكرية أو صدام عقدي، فضلا عن أن كتاب التاريخ والسير من قبل كتاب المقالات والمللومين بعد، التقى ما سجلوه عن الخوارج وعن الإباضية على وجه خاص ما نقله كتاب المقالات والمذاهب الذين رفض مقولتهم بعض كتاب الإباضية المحدثين⁽¹⁾.

نقول هذا ونحن في مرحلة التعريف بالمذهب ودلالة التسمية بالإباضية وجذور النشأة حتى نقطع في نسبة المذهب بابن إياض ونعرف بملامحه العامة قبل أن ندخل في التفصيل بالرأي ولا يحتاج الأمر بعد ذلك إلى جدل، ونقوله أيضا حتى لايتوهم وأهم أن محاولة وضع مذهب في مكانه الصحيح واللائق إنما تعني عدم استقامة البناء الفكري لكتاب الاتجاهات الأخرى، وخاصة أولئك الذين دونوا المصادر الأمهات لتراث المسلمين بمختلف اتجاهاتهم ناهيك عن أن تجريح منهجهم برفضه أو التشكيك في صحته قد يتناول حكم بعض العلماء الأئمة، على العناصر الأولى التي قادت الخوارج كابن "الأزرق" صلى الله عليه وسلم بشأن الخوارج، وأعني بهؤلاء العلماء بعض شراح الحديث النبوي ورجاله.⁽²⁾

ومن هنا فإننا سنحاول التعرف على معتقدات المذهب الإباضي في كافة جوانبه العقديّة ومختلف أطواره ومواقفه غير مهملين أهم مصادر المذهب التي يتاح لنا التعامل معها والاطلاع عليها ومصادر مخالفيه لتنبيه حجم الخلاف.

ب- عقائد الإباضية:

- 1- الصفات الإلهية: هي عين ذات الله، نفيا لتعدد القدماء.
- 2- رؤية الله: لا تتحقق للإنسان أبدا، في الآخرة فضلا عن الدنيا.

¹ - المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مكتبة صيدا، بيروت، لبنان، ط2، 1406-1988م، ص239.

² - ابن حجر العسقلاني، استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب ما جاء في المتأولين ج 12، مكتبة خياط، بيروت، لبنان، 1906م، ص15.

الفصل الأول الإباضية في الدولة الرستمية

- 3- القرآن مخلوق عند قسم منها: المغاربة خاصة، وغير مخلوق عند القسم الآخر (*)
- 4- الخلود في الجنة والنار أبدي. لا يشقى من سعد في الآخرة أبدا ولا يسعد من شقى في الآخرة أبدا.
- 5- الإنسان حر في اختياره، مكتسب لعمله، ليس مجبرا عليه، ولا خالقا لفعله.
- 6- الإيمان قول وتصديق وعمل وليس قولا وتصديقا فقط دون عمل.
- 7- ولاية المطيع والبراءة من العاصي والوقوف عند الضرورة واجب⁽¹⁾
- 8- النفاق منزلة بين الشرك والإيمان ولا منزلة بين الإيمان والكفر.
- 9- اذا أطلقت كلمة الكفر على الموحد فالمقصود بها كفر النعمة لا كفر الشرك.
- 10- مصادر التشريع هي القرآن والسنة والرأي وهذا الأخير قد يأتي في بعض الأحيان بمعنى الاجتهاد أو الإجماع أو القياس.
- 11- الصحابة كلهم عدول وروايتهم مقبولة إلا في الأحاديث المتعلقة بالفتن ممن خاض في الفتن. ولا بأس أن يقال "الحق مع فلان الصحابي بدليل كذا وكذا. وأن الأولى للصحابي الفلاني ألا يفعل كذا بحجة كذا وكذا" ولا يظلم الإباضية صحابيا.
- 12- الإمامة فرض، ولا تنحصر في قريش أو في عنصر بعينه وإنما شرطها هو الكفاءة الشرعية.

13- الإمامة أربعة أنواع: وتعرف عند الإباضية بمسالك الدين وهي إمامة الظهور والدفاع والشراء والكتمان.⁽²⁾

1- إمامة الظهور: وهي واجبة عندما تتوفر شروطها لتأسيس دولة إباضية المذهب وشروطها. وهي أن يكون المسلمون من الإباضية أقوى من غيرهم بحيث يستطيعون انتخاب من يحكمهم علنا، وذلك طبقا لكتاب الله وسنة رسوله، وسيرة الخلفاء الراشدين من بعده. فيقوم إمام الظهور بالقطع والجلد والرجم وأخذ الحقوق، وأحسن من يمثل هذا النوع

* - علي يحي معمر، الإباضية في موكب التاريخ، ج1، مطابع دار الكتاب العربي، مكتبة وهبة القاهرة مصر، 1384-1964، ص83-87.

¹ - ابن حزم أبو محمد علي بن سعيد، الفصل في الملل والأهواء، ج3، مكتبة المثنى بغداد، 1377هـ، ص191.

² - الشهرستاني، الملل والنحل، تح محمد سيد كيلاني، ج1، أوفست، دار المعرفة بيروت، 1400هـ - 1980 هـ، ص134.

الفصل الأول الإباضية في الدولة الرستمية

من الإمامة التي تعتبر هي الأصل الواجب، الإمامة الرستمية ابتداء من إمامها "عبد الرحمن بن رستم".

2- إمامة الدفاع:

وهي مرحلة بين الظهور والكتمان، فإذا كانت الإباضية في طور الكتمان ، وداهمهم العدو، فيجب عليهم أن يعلنوا حالة الدفاع عن أنفسهم، ويعقدوا إمامتها لمن يعرف بالشجاعة والخبرة العسكرية ويطلق عليه إسم إمام الدفاع، له كل الصلاحيات التتليام الظهور إلا أن إمامته تزول بزوال الخطر الداهم، فإذا كان ذلك بالانتصار تحولت جماعة الإباضية إلى إعلان إمامة الظهور بمبايعة إمام يحمل ذلك الاسم.

ولا يشترط أن يكون هو إمام الدفاع السابق. أما إذا كانت نتيجة الدفاع سلبية عليهم تحولوا إلى الكتمان والسرية ودخلوا مرحلة الكتمان مرة ثانية ويعتبر "أبو حاتم المزوزي" في المغرب إمام الدفاع.

3- إمامة الشراء: وهي أن يخرج إمام بأربعين رجلا فما فوق يبايعونه على الجهاد في سبيل الله، ويسمون شراة ، لأنهم اشتروا الجنة بأرواحهم، والكلمة مستوحاة من قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ ۖ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾. سورة التوبة الآية: 111.

(1) وقوله كذلك "﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ﴾" سورة البقرة الآية 207 (2) ولا يجوز للشراقة ان يخرجوا للجهاد الرجوع إلى منازلهم حتى ينقص عددهم عن ثلاثة رجال. كما لا يجوز لهم استعمال الكتمان ماداموا قد هبوا في سبيل الله، ويعتبر "مرداس وعروة ابنا حدير" وأمهما "أدية" من الشراة (3) ثارا ضد ولادة بني أمية بالمشرق.

د- إمامة الكتمان: وتعتبر عن مرحلة الضعف التي تردى إليها الإباضية. بحيث يركنون إلى السرية. وينتخبون إماما عليهم. يكون عادة هو أعلمهم "كجابر بن زيد الأزديوأي عبيدة بن مسلم بن أبي كريمة" اللذين تزعموا الإباضية في البصرة في القرنين الأول

¹ - سورة البقرة آية رقم 207.

² - سورة التوبة، آية 111.

³ - الدرجيني، طبقات المشائخ بالمغرب ، تح إبراهيم طلاي ، ج2 ، مطبعة البعث، قسنطينة، 1974-1394 ص214-226.

والثاني للهجرة إمامي كتمان، ويقوم الإباضية في إمامة الكتمان بنشر دعوتهم سرا، دون إثارة أو دعوة للثورة إذ يجوز في هذه المرحلة البقاء تحت حكم غيرهم ماداموا عاجزين عن تغيير الوضع لصالحهم.

14- ونختم هذه المعتقدات الإباضية بما ذكره إمام الإباضية في القرن الرابع عشر الهجري قطب الأئمة الشيخ "أطفيش" حيث يذكر أن الإباضية يقولون أن «الحق مانحن عليه والباطل ما عليه خصومنا، لأن الحق عند الله واحد، ومذهبنا في الفروع صواب يحتمل للخطأ، ومذهب مخالفنا خطأ يحتمل الصدق»⁽¹⁾.

ثالثا: فرق المذهب الإباضي وأشهر أئمة

ينطوي المذهب على عدة فرق وينضوي تحت لواء أئمة، إن بالتعاقب التاريخي أو بالإختلاف الفقهي: يقول بعضهم: «والمذهب الإباضي ليس بدعا من المذاهب الإسلامية فقد كان الخلاف يقع بين العلماء فيتناقشون فيه»⁽¹⁾

أحصى كتاب الإباضية أهم الفرق التي تنضوي تحت المذهب الإباضي أو التي انشقت عنا لإباضية فوجدها ستة فرق تجيء تحت هذه الأسماء .

النكارية، النفاثية، الخلفية. الحسنية، السكاكية، الفرثية. وهذه الفرق تمثل في المذهب الإباضي مراحل تاريخية وعقدية ينطوي عليها المذهب أو تشكل تجربته التاريخية ، وإن كان الخلاف فيما بين هذه الفرق ليس في مستوى الخلاف الذي بين الإطار العام للمذهب وجذوره التاريخية، إبان نشأة فكر وعقائد الخوارج وإن كان بعض هذه المذاهب قد أنكرها جمهور الإباضية.

وهي على ضوء ما جاءت في كتب المتقدمين والمتأخرين على النحو التالي:

أ- النكارية وعقائدها:

ظهرت هذه الفرقة في بلاد المغرب العربي عندما أحس إمام الدعوة الإباضية أيام الدولة الرستمية الإباضية بدنو الأجل وهو "عبد الرحمن بن رستم" الذي رغب في ترك الأمر شورى من بعده بين سبعة نفر يتولون تنظيم شؤونهم الداخلية في بلاد المغرب

¹ - علي يحي معمر ، الإباضية بين الفرق الإسلامية، المطبعة الإسلامية العربية ، غرداية ، الجزائر ، 1987، ص23.

الفصل الأول الإباضية في الدولة الرستمية

وكان ذلك بدءاً من عام 171هـ⁽¹⁾ ويعد "ابن فندين" رأس الفرقة النكارية من الإباضية وقد سموها "بالنكار" لأنهم أنكروا إمامة الإمام "عبد الوهاب بن رستم" وأما الذين أيدوا إمامة "عبد الوهاب بن رستم" وصوبوا إمامته فسموا «وهابية». وهم جمهور إباضية المغرب.

وتقوم هذه الفرقة على مستندين أو مقومين مهمين هما:

الأول: لا تصح عندهم إمامة المفضول مع وجود الأفضل.

الثاني: تصح الإمامة بشروط إذا شرطها الناس عند البيعة وتسقط لمخالفة تلك الشروط..

وعلى هذين الاعتبارين ارتكزت "النكارية" في دعواها بطلان: إمامة "عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم"⁽²⁾ أضاف علماء الفرقة "النكارية" من أمثال "عبد الله بن يزيد الفزاري" مقالات بعضها يخالف الإسلام في أصوله وجوهره وبعضها يخالف المذهب الإباضي ومن مقالاتهم التي خالفوا فيها الإباضية المقالات الأربعة الآتية⁽³⁾

1- الإمامة غير مفترضة.

2- صلاة الجمعة غير جائزة وراء الأئمة الجورة.

3- عطايا الملوك لا يحل أخذها.

4- لا تجوز ولاية المفضول.

أما عن أقوالهم العقدية التي خالفوا فيها الإباضية وقد جاءت على النحو التالي:

1- الحد من الأسماء.

2- قالوا إن ولاية الله وعداوته تتقلب بالأحوال.

3- قالوا إن أسماء الله مخلوقة.

4- الإمامة غير مفترضة.

5- قالوا يجوز الانتقال من الولاية إلى الوقوف.

6- حجة الله تقوم بالسماع وقد سمع الناس.

7- من لم تبلغه دعوة الإسلام ودعي إلى دين سماوي آخر لا يجوز له أن يجيب.

8- قالوا إن صلاة الجمعة غير جائزة خلف أئمة الجور.

9- قالوا عطايا الملوك لا يحل أخذها.

¹ - سليمان الباروني، مختصر تاريخ الإباضية، ط2، تونس، 1938، ص34.

² - المرجع السابق، الإباضية بين الفرق الإسلامية، ص63.

³ - المرجع السابق، طبقات المشائخ بالغرب، ص41.

10- قالوا الله لم يأمر بالنوافل.

وغير ذلك من الأقوال العقدية لهذه الفرقة فالباحث يدرك حجم الإبتداع الذي تمثله هذه المقولات على عقائد الإباضية أنفسهم، فمؤرخي الإباضية إذا ما اطلعوا على عقائد فرقة "النكارية" وجدوا فيها هذا الإبتداع المذهبي قالوا: لئن كان منطلقا من البيئة الإباضية، لكن الإضافات السياسية والمذهبية جعلتها فرقة مستقلة يمكن أن تحتسب من بين الفرق التي أفرزها التاريخ الإسلامي وليس ضرورة أن تكون إباضية.

ب- النفائية وعقائدها:

هذه الفرقة الثانية من فرق الإباضية الست والتي أفرزتها العوامل السياسية والمتغيرات التي كان يتعرض لها الإباضيون في التاريخ مثلما رأينا في نشأة وتطور "الفرقة النكارية". تنسب هذه الفرقة "النفائية" إلى رجل يدعى: فرج نصر النفوسي المعروف بالنفات. وفيما يرويه المؤرخ الإباضي "الباروني": ⁽¹⁾ أن الرجل فرج بن نصر من إحدى القرى الغربية من جبل "نفوسة في ليبيا".

ويبدو أن دوافع النشأة لهذه الفرقة بعض العوامل والتطورات التي انتهت إليها جماعة النكارية على يد "ابن فندين وابن السمخ"، ذلك إن جماعة أو فرقة النفائية لقيت استجابة كبيراً قبلاً من جانب إباضي نفوسة في ليبيا لمناهضة الدولة الرستمية، وقد أعلن "فرج بن نصر النفوسي" الثورة ضد الإمام "أفلح بن عبد الوهاب ابن رستم" في المغرب سنة 190 هـ.

وقبل أن نتناول عقائد هذه الفرقة باعتبارها فرقة إباضية من الفرق الست التي أغفلها معظم كتاب المقالات بينما الحديث عنها بتوسع واستطراد تمتلئ به مصادر التاريخ السياسي للمغرب الإسلامي فضلا عن كتب الإباضية المطبوع منها والمخطوط نود أن ننوه إلى أن معظم المصادر الإباضية تعتبر الفرقة "النفائية": فرقة مارقة وخارجة عن الإمامة الإباضية وذلك لأسباب سياسية وعقدية عند الإباضية، سنتعرض لها عند الحديث عن عقائدهم، لكنه بالرغم من ذلك فإن الفرقة "النفائية": محسوبة على التاريخ الإباضي بوجه عام خاصة إذا علمنا أن مبررات الخروج على الإمام "الرستمي" عند "النفائية" كانت

¹ - المرجع السابق، مختصر تاريخ الإباضية ، ص 37.

فيما زعم "النفاثيون" لإنقاذ الإمامة الإباضية مما آلت إليه من اتخاذ مبدأ الوراثة في الإمامة واختفاء مبدأ الشورى من الحكم الرستمي.

وفي تقرير هذا الرأي يقول الدكتور: "محمد إسماعيل عبد الرزاق"⁽¹⁾: (وعلى الرغم مما تورده المصادر الإباضية من تفسير لحركة نفاث باعتباره مارقا عن الإمامة لأسباب ودوافع ذاتية فإن ذلك لا ينفي قط كون نفاث ثائرا صاحب آراء واجتهادات في المذهب الإباضي وداعية لإنقاذ الإمامة الإباضية مما تردت فيه من امتهان على عهد أئمة بني رستم، فقد آلت الإمامة إلى "افلح بن عبد الوهاب" توا بعد وفاة أبيه مما يؤكد استمرار مبدأ الوراثة واختفاء مبدأ الاختيار في الحكم الرستمي).

ومع أن فرقة "النفاثية": انقرضت ولم يبق لها أثر حتى في بيئتها التاريخية التي نشأت فيها إلا أنها تركت بصماتها على التاريخ الإباضي وخاصة في الجانب العقدي عند فرقة تشكلت ذات يوم تحت لواء ومنطلقات المعتقد الإباضي في الإسلام. وعن هذا الجانب العقدي ماذا في جعبة التاريخ من أفكار ومعتقدات حملها قوم "النفاثية" وتتادوا بها ذات يوم؟ وأهم معتقدات النفاثية مايلي:

بالرغم من أن هذه الفرق التي نتناولها بالدراسة ونتعرف على معتقداتها هي أقرب ما تكون إلى أن توصف بأنها حركات مناوئة ذات طابع سياسي أكثر منه اجتهدا دينيا أو عملا فكريا، لكن كتاب ومؤرخي الإباضية فرقا ويرون عدم تعرض كتاب المقالات القدماء لها أنه من قبيل الجهل بها، أو من قبيل الوقوع في معلومات خاطئة قدمها لهم أعداء الإباضية، وبالرغم من أن بعض الكتاب الإباضيين يريدون الفرق التي تشكل تجربة التاريخ الإباضي عندهم ويترجمون لبعضها بالردة أو بالإنقراض وبعضها الآخر بعدم توفر الجانب العقدي والفكري الذي يجعلها فرقة لها إجتهداتها التي تخطئفيها وتصيب بل إنهم حين يريدون أسماء الفرق الست على أنها فرقا هملمها كتاب المقالات لكنهم يعودون وأثناء عرض دور هذه الفرق التاريخي تحت لواء الإباضية وإبراز ما انتهت إليه عقديا لا يعتبرون بعض هذه الفرق الست فرقا بالمصطلح التاريخي التي عرفت بهذه الفرق وتشكلت على ضوءه المذاهب مثلما فعل "الباروني وأبو بكر خليفة المارغني وعلي يحي

¹ - ينظر، محمد إسماعيل عبد الرزاق، الإباضية في بلاد المغرب، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1، ص167.

الفصل الأول الإباضية في الدولة الرستمية

معمر".⁽¹⁾ وهذه الطائفة أو الفرقة "النفاثية" التي تشكلت في ظل أحقاد شخصية ومنازعات سياسية بحتة تعبر عنها تلك الرسائل المجافية بل والمعادية التي كانت بين فرجان مصر النفوسي المعروف بابن "نفاث" والذي تنتسب إليه الفرقة وبين الإمام "أفلح بن عبد الوهاب الرستمي" و العجيب ان سر العداء الذي وقع بين نفاث و بين الإمام أفلح هو طمع الأول بمناصب عليا في الحكومة مثلما كان يطالب ابن فندين.⁽²⁾ وأهم هذه المعتقدات التي يمكن ترتيبها على الوجه التالي:

- 1- يعتقدون أن الله هو الدهر.
 - 2- أنكرت "النفاثية" خطبة الجمعة وقالوا إنها بدعة.
 - 3- أنكروا على الإمام استعمال العمال والسعاة لجباية الحقوق الشرعية ومطالب بيت مال المسلمين من الرعاية.
 - 4- قالوا: إن ابن الأخ الشقيق أحق بالميراث من الأخ للأب.
 - 5- قالوا: إن المضطر بالجوع لا يمضي بيع ماله إذا باعه لأجل ذلك وعلى من شهد حضرته تنجيته.
 - 6- قالوا: إن الفقد لا يتحقق إلا فيمن جاوز البحر.
 - 7- قالوا: إن الإمام إذا لم يمنع رعيته من جور الجورة وظلمهم لا يحل له أن يأخذ الحقوق التي جعل الله عليهم لضعفه فيالدفاع عنهم.⁽³⁾
- وهناك بعض المعتقدات الأخرى تنحصر في تجريحهم للإمام الذي ناوئوه والقضايا الشخصية التي تعينهم.

ج- فرقة الخلفية وعقائدها:

تعد الفرقة الخلفية واحدة من الإفرازات السياسية التي كونت أفكارا ومعتقدات تخالف في منطلقها وأهدافها الإباضية منشأ ومعتقدا.

وهذه الفرقة "الخلفية" تنسب إلى: "خلف بن السمح بن أبي الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافر" وكان "أبو السمح بن أبي الخطاب عبد الأعلى" واليا على جبل "نفوسة" و

¹ - عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج1، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1384هـ - 1965م، ص220.

² - علي يحي معمر، مرجع سابق، ص23.

³ - الدرجيني، مرجع سابق، ص 78.

وما يليها إلى ضواحي طرابلس وقابس بليبيا وتونس⁽¹⁾، وكان تابعا لإمام الدولة الرستمية الإباضية آنذاك وهو: "عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم" ولكنه كان على خلاف مع الإمام وخاصة أن والد "خلف السمح بن أبي الخطاب" الذي قام بالإمامة على جبل نفوسة قام بهذا الأمر من قبل والده "عبد الأعلى المعافر" ولما مات "السمح بن أبي الخطاب" قام جماعة من الناس وبايعوا "خلفا" بغير إذن الإمام الإباضي⁽²⁾ وبدون الرجوع إليه ومن هنا فإن الإمام "عبد الوهاب بن عبد الرحمن" عندما علم بما أقدم عليه "خلف" في جبل نفوسة دون الرجوع إليه قام فعزله وأمر الناس باعتزاله وولى عليهم غيرهم. يرى المؤرخ الإباضي "عليحي معمر" الذي أدرج الخلفية في قائمة الفرق التي انشقت عن الإباضية فيقول (والعجيب من المؤرخين وكتاب المقالات أن يتأثروا بالجانب السياسي هذا التأثير الكبير، فيعتبر هؤلاء المقاتلين فرقة، ويعتبرون خلفا إماما لفرقة)⁽³⁾.

ولكننا هنا نعود فنسأل إذا كانت البيئة التاريخية والحدث السياسي يدور حول ممارسات عقدية وأمور شرعية والعنصر البشري في الأحداث مذهبي، فإن جبل "نفوسة" وما يليه من ضواحي طرابلس وقابس وتونس كان على المذهب الإباضي والإمارة على هذه البلاد تتم بناء على أمر من الإمام في المغرب والجزائر، المبايع مبايعة شرعية فإذا لم يكن لجماعة مثل جماعة خلف، وقد قام "الباروني" فقال: (إن جيش خلف يقدر بحوالي أربعين ألفا) وعلينا أن، ننظر إلى زمن هذا الجيش وإمكان تجنيد عناصره عام 121هـ-835م. مرتكزا عقديا ومذهبيا يتأولون به في الخروج على السلطان فأى جماعة إذن هي التي يطلق عليها فرقة، لكن غياب أو عدم تسجيل الجانب العقدي في مذهب "الجماعة الخلفية" وسكوت معظم الذين كتبوا في هذا الموضوع عن الجانب العقدي مما يثير تساؤلا لا نجد له فيما رجعنا إليه من إجابة ترضي أيا كانت الإجابة؟

د- فرقة الحسينية وعقائدها:

هذه الفرقة المسماة بالحسينية أو "العمدية" أحيانا ويبدو من تاريخ هذه الفرقة أنها اتحدت مع العمدية وأن العمدية امتزجت بالحسينية، وإن كان كتاب المقالات يسجلون

¹ - سليمان الباروني، مرجع سابق، ص 274.

² - علي يحي معمر، مرجع سابق، ص 271.

³ - أبو زكرياء يحي أبو بكر، سير الأئمة وأخبارهم، تحقيق إسماعيل العربي، المكتبة الوطنية، الجزائر، 1979، ص 86.

بينهما فروقا بين الأئمة إذ ينهج بعضهم نهج المعتزلة والبعض الآخر نهج الإباضية، وإن كانوا جملة "حسينية" و"عمدية" يبتعدون عن جميع الأطراف.⁽¹⁾

تميزت هذه الفرقة عن الفرق السابقة بأنها لم تدخل في معارك سياسية ولا صراعات حربية وقد عاشت في طرابلس في القرن الثالث هجري ومؤسس الفرقة هو "أبو زياد أحمد بن الحسين الطرابلسي" الذي ينسب إليه أنه كتب كتبا كثيرة، لكنه لا يوجد منها شيء مطبوع أو متداول فيما بحثنا عنه، ولم تدخل الفرقة "الحسينية" في معارك السياسية كما سبق الإشارة إلى ذلك ومن هنا فقد توسع "أبو زياد أحمد بن الحسين" وأصحابه في مقالاتهم وآرائهم، حتى أحصى لهم "أبو عمرو عثمان بن خليفة المارغني" مقالات عديدة نوجز بعضها لتجيء على الوجه الآتي:⁽²⁾

- 1- لا يشرك من أنكر سوى الله.
 - 2- حكموا بتشريك المتأولين المخطئين من فرق الأمة.
 - 3- الحب والرضا والولاية والعداوة والسخط أفعال الله وليست بصفات له.
 - 4- يسع جهل معرفة محمد صلى الله عليه وسلم وليس على الناس إلا معرفة المعبر عنه.
 - 5- أباحوا الزنا وأخذ الأموال لمن أكره على ذلك يتقي بها ويغرم بعد ذلك.
 - 6- الحرام المجهول معاقب عليه.
 - 7- حجة الله تنال بالفكر في دين الله اضطرارا.
 - 8- خوف الرسل خوف إجلال لا خوف عقاب.
 - 9- تجوز الولاية والبراءة بشريطة.
 - 10- أهل الجنة يخافون ويرجون، والموتى تأكلهم الأرض إلا عجب الذنب.
- هذه المقولات هي خلاصة ما ينسب إلى فرقة "الحسينية" التي تنسب إلى "أبي زياد أحمد بن حسين الطرابلسي" الذي لم يحدد المؤرخون الإباضيون تاريخه بالضبط مولدا ووفاة.

¹ - الدرجيني، مرجع سابق، ص 274.

² - يوسف سعيد بن بكير، تاريخ بني ميزاب ونضالهم من أجل الحق في التباين، دراسة اجتماعية واقتصادية وسياسية، الطبعة العربية، غرداية، الجزائر، 1992، ص 6.

يقول: الشيخ "أبو زكرياء الوردجاني" وهو من علماء الإباضية في التعليق على عقائد هذه الفرقة: (إن طائفة تنتحل اسم الإباضية يقال لهم - العمدية - لم يجمعنا وإياهم جامعة من قبل وهم يزعمون أنهم إباضية، يسندون مذهبهم إلى "عبد الله بن مسعود" رحمه الله وهم أتباع "عيسى بن نمير" قبل أن يتحدوا مع أتباع "أبي زياد أحمد بن حسين الطرابلسي".

هـ - فرقة السكاكية وعقائدها:

هذه الفرقة تنسب إلى: "عبد الله بن السكاك" اللواتي من سكان "قنطرار" والرجل على ما توضح سيرته وسيرة أتباعه قد أغراه المال الذي توفر لديه من مهنة (الصياغة) التي كان فيها صائغا ماهرا، على أن يكتسب مع المال شهرة وسمعة حتى ولو كانت على حساب دينه، فاعتنق جملة من المقالات ودعا إليها وهي على الجملة لا تخرجه من الإباضية وتضعه بين الفرق الإباضية الست التي انشقت عن الإباضية فحسب بل تخرجه من الإسلام وجملة المقولات التي تلخص عقيدة "السكاكية" فيما نسب إليها المؤرخون الإباضيون أنهم قد اعتنقوا الآتي: (1)

- 1- أنكروا السنة النبوية والإجماع والقياس وزعموا أن الدين كله مستخرج من القرآن.
- 2- صلاة الجماعة عندهم بدعة.
- 3- والأذان للصلاة عندهم بدعة فإذا سمعوه قالوا: نهق الحمار - نعوذ بالله مما يقولون.
- 4- لا تجوز الصلاة عندهم إلا بما عرف تفسيره من القرآن.
- 5- طعام "الأندر" نجس لما يبول عليه من الدواب حين الدراس والبقول والخضر نجسة إذا وضع في أرضها السماد. وفي التعليق على عقائد "السكاكية" يقول المؤرخ "علي يحي معمر" وكان الإباضية يعاملون جميع الفرق من أهل القبلة معاملة المسلمين ما عدا السكاكية فإن من مات منهم جعلوا في رجليه مرابط وجروه بها إلى موضع يوارونه فيه. (2)

و- فرقة الفرثية وعقائدها:

تسمية "الفرثية" فرقة لا يمكن أن يكون ولا أن يقبل إلا تجاوزا فالمقولات التي تنسب إلى مؤسس هذه البدعة: "أبو سليمان بن يعقوب بن أفلح" تدل على أنها وليدة تشتت فكري ودراسي عند الرجل أدى إلى إنحراف عقدي، ذلك أن "أبا سليمان بن يعقوب بن

¹ - الدرجيني، مرجع سابق، ص 18.

² علي يحي معمر، مرجع سابق، ص 275.

أفلح" قد نشأ في بيت إباضي رغب والده أن يتعلم ابنه علوم الدين من خلال كتب الإباضية في الدعوة والفكر وعلوم الشرع من غير أن يتوسع في غيرها لكن الرجل ما استطاع أن يوقف ابنه وجرف التيار الفكري المتعدد المذاهب والمعتقدات الذي اطلع عليه " أبو سليمان بن يعقوب" إلى مقولات طالما حذر منها الوالد ابنه وخاصة تلك المقولات التي طرحها مؤسس "الحسينية" "أبو زياد أحمد بن الحسينية" التي اعتبرت مقولاته عند الإباضية نفاقاً أو شركاً بل إن بعضهم أخرجه من الإسلام.⁽¹⁾

وطرح "أبو سليمان بن يعقوب" هذه المقولات الذي تضعه هو الآخر في صفوف المبتدعة، وفيما نسب إليه "أبو عمرو عثمان المارغني" فإن جملة مقولات الفارثية تقوم على الآتي:

1- نجاسة الفرث وما طبخ فيه من طعام ويبدو أن دعوة "أبي سليمان" ومقولاته نسبت إلى هذه الجماعة: تحريم أكل الجنين.

2- تحريم دم العروق ولو بعد غسل المذبح وكذلك دم الجوف.

3- لا تعطى الزكاة إلا للقرابة أي قرابة المزكي.⁽²⁾

هذا مجمل ما انتهى إليه "أبو سليمان بن يعقوب بن أفلح" ولا جدال أن المتأمل في هذه الفرقة الفرثية والنفاثية معها يجد أنهما ليستا فرقتين مطلقاً ، بل أراء في مسائل جرت على أصحابها من النقد والتجريح ما تعرضوا له من نقد وتجريح ناهيك عن أنهم خرجوا عن الإنتماء للمذهب الأم الذي كانوا ينتسبون إليه وهو الإباضية ولأصحابه من الاجتهاد والالتزام ما يجعلهم في التاريخ الإسلامي فريقاً متميزاً.⁽³⁾

رابعاً: الفرق الست وعلاقتها بالإباضية.

هذه الفرق الست التي تعرضنا في إيجاز وعرفنا بها على ضوء ما هي عليه في كتب الإباضية وحكمنا عليها بمعظم ما حكم به علماء الإباضية ومؤرخوهم وقد انتهينا إلى أن هذه الفرق إفرازات فكرية وسياسية وشخصية أصحابها ومؤسسوها اغتنموا جمل عوامل مرت بالتاريخ الإسلامي في المغرب حيث أقيمت الدولة الإباضية الرستمية التي يعتقد أن

¹ - عبد الرحمن الجيلالي، مرجع سابق، ص 220.

² - محمد الطمار، تاريخ الأدب الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط2، 2010، ص 69.

³ - الدرجيني، مرجع سابق، ص 106.

معظم حكامها اتسموا بالعدل والتواضع والتزام روح الإسلام والوصول إلى الحكم بطريقة الاختيار العام وباستثناء "اليقظان" الذي تتبرأ منه الإباضية.⁽¹⁾ فإن صورة حكم الدولة الرستمية كانت في منتهى النزاهة والأمانة وعن أول إمام للإباضية في الدولة الرستمية وهو "عبد الرحمن رستم" الفارسي الذي وصل بطريق الاختيار العام يقول: ابن الصغير المالكي لما نقله "الباشا الباروني" في (الأزهار الرياضية) (ثم نهضوا إليه بأجمعهم وقالوا يا عبد الرحمن رضيك الإمام أبو الخطاب في أئمتنا فنحن الآن نرضى بك ونقدمك على أنفسنا فقد علمت أنه لا يصلح أمرنا بإمام نلجأ إليه في أمورنا ونحتكم عنده فيما ينوب من أسبابنا... فقال لهم إن أعطيتهموني عهد الله وميثاقه على الطاعة فيما وافق الحق وطابقه قبلت ذلك منكم فأعطوه عهد الله وميثاقه⁽²⁾ ومع ذلك فإن ليس لدى المؤرخين الإباضيين إجابة واضحة ومحددة على سر ذلك الإنشقاق المذهبي والطرائفي الذي حدث في مجتمع الإباضية بالرغم من وحدة نشأة التفكير والمعتقد خاصة أنه قد تطور ذلك الإنشقاق حتى أنف المؤرخون الإباضيون أن يعتبروا بعض هذه الفرق منتما للمذهب الإباضي أو من أمة الإسلام.⁽³⁾

ولقد تمكن الإباضيون على الرغم من انقسامهم إلى فرق متعددة المذاهب والمشارب، من إنشاء دولة في بلاد المغرب، عاصمتها، تيهرت، مارسوا فيها معتقدهم الذي طبقوا فيه مبادئ الإباضية، بداية بفكرة الإمامة وما انبثق عنها من اجتهادات في تسيير شؤون البلاد الرستمية.

II - قيام الدولة الرستمية:

أولاً: نسب الرستميين:

كان انتقال "عبد الرحمن بن رستم" إلى المغرب الأوسط إيذاناً بظهور الدولة الرستمية التي أصبحت قوة جديدة لها أثرها البالغ في تشكيل أحداث المغرب كله، إلى نهاية القرن الثالث الهجري والحديث عن الدولة الرستمية يشدنا إلى الحديث عن مؤسسها

¹ - علي يحي معمر، مرجع سابق، ص 56.

² - المبرد أبو العباس محمد بن يزيد، الكامل في اللغة (باب الخوارج)، دار الحكمة، دمشق، ط 2، 1972، ص 57.

³ . البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، وهو جزء مأخوذ من كتب المسالك والممالك، مكتبة المثنى ببغداد، العراق، 1857، ص 68.

عبد الرحمن بن رستم" الذي أجمعت المصادر على أنه فارسي الأصل وإن اختلفت هذه المصادر فيما بينها في تحديد طليعة هذا الأصل الفارسي.⁽¹⁾

فالبكري يرتفع بنسب "عبد الرحمن بن رستم" إلى أصل ملكي يرتبط بأكاسرة الفرس الساسانيين، فجدّه هو: "بهران بن ذي شرار بن سابور بن بابكان بن سابور ذي الأكتاف الملك الفارسي".⁽²⁾ ونفس الرواية نجدها عند ياقوت مع مزيد من الإيضاح في الوصول بهذا النسب إلى الأصل الملكي الفارسي فهو: "بهرام بن بهرام جور بن شابور بن باذكان بن شابور ذي الأكتاف ملك الفرس"⁽³⁾ أما ابن خلدون فيجعل "عبد الرحمن بن رستم" من أبناء رستم أمير جيش فارس في موقعة القادسية وقد عبر عن ذلك بقوله: وكان "عبد الرحمن بن رستم" من مسلمة الفتح وهو من ولد "رستم أمير الفرس بالقادسية"⁽⁴⁾ وعند ابن حزم الأندلسي أن بنى رستم ينتمون إلى الملك الفارسي "جاما سب بن فيروز" و "جاما سب" هذا هو عم "أنو شروان" يقول: "وبنو رستم، ملوك تيهرت، من ولد جاما سب" ولا يعقل أن يكون "عبد الرحمن بن رستم" من أبناء رستم أمير جيش فارس في موقعة القادسية إذ أن الأقرب إلى المعتاد إلى الأعمار يجعل في قبول ذلك كثير من الشك لأن رستم قتل سنة (16هـ/638م) وتوفي "عبد الرحمن بن رستم" سنة (181هـ/787م) فيكون عبد الرحمن قد

عمر ومائة وبضعا وخمسين سنة لم يذكر هذا أحد من المؤرخين⁽⁵⁾ أما بنسبة "عبد الرحمن بن رستم" إلى بهرام (مولى عثمان بن عفان) فليس فيه ما يستعبد، لأن يزدجر آخر ملوك فارس كان له ابنان هما "بهرام وفيروز" وثلاث بنات هن "أدرک وسها ومراد وزيد"⁽⁶⁾ وله رأي آخر في هذا الشأن ذكره في كتابه أخبار الزمان فهم من ولد "سودان بن

¹ - اليعقوبي، البلدان، ج2، مطبعة بريل، ليدن، 1860، ط1، ص45.

² - ابن خلدون، العبر، ج2، دارالكتاب للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، ص246.

³ - ابن حزم الأندلسي، جمهرة أنساب العرب، تح عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، 1926، ص511.

⁴ - البكري، مرجع سابق، ص66.

⁵ - محمد علي دبوز، تاريخ المغرب الكبير، ج3، طبع بدار إحياء الكتب العربية، ط1، 1383هـ-1963هـ، ص256.

⁶ - المرجع نفسه، ص257.

كنعان" الذين تناسلوا بالمغرب.⁽¹⁾ وفي ضوء هذين الرأيين للمسعودي يجمع الرستميون من سكان المغرب الأصليين الذين كانوا موجدتين قبل الفتح الإسلامي للمغرب. وقد أشار المقرئ في كتابه نفح الطيب إلى رأي ثالث حقيقة الإشبان، فهم نسبة إلى ملك الأندلس، "إشبان بن طيطش" الذي تنسب إليه مدينة إشبيلية وقد قيل إن إشبان هذا من عجم رومة أو أنه من أصبهان التي ولد بها⁽²⁾ وهذا الطرف الأخير من الرواية يعني أن الإشبان من الفرس وأن الرستميين بالتالي من أصل فارسي. كما تعنى هذه الرواية أن البيت الرستمي وافد إلى المغرب من الأندلس وقد يكون هذا صحيح إلا أن ذلك يعوزه الدليل الذي يتضح من الروايات السالفة على اختلاف مصادرها أن الرستميين ينتسبون إلى أصل فارسي.⁽³⁾

ثانيا: نشأة الدولة الرستمية.

أ- الانتقال من القيروان إلى (المغرب الأوسط):

تداعت القبائل البربرية التي إعتنقت المذهب الإباضي بعد هزيمة أبي الخطاب المعافري، وهروب والي القيروان "عبد الرحمن بن رستم" إلى المغرب الأوسط⁽⁴⁾ إلى الهدوء والكتمان مدة من الزمن⁽⁵⁾ ولم يستطع الإباضيون من تأسيس دولة إباضية أخرى في القيروان، التي أصبحت في قبضة ولاية العباسيين ، ففكر دعاة الإباضية الإلتحاق بعبد الرحمن في المغرب الأوسط ونشر دعوتهم فيه.

¹ - عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب الكبير، العصر الإسلامي، دراسة تاريخية وأثرية عمرانية، دار النهضة العربية، بيروت لبنان، 1981م، ص540.

² - المسعودي أخبار الزمان ، دار الأندلس، بيروت، ط2 ، 1922، ص87.

³ - الإصطخري، المسالك والممالك، تح محمد جابر عبد العال الحسين، دار القلم القاهرة مصر، 1381هـ - 1963هـ ، ص229 - 230.

⁴ - محمد بن رمضان شاوش، الدر الوقاد ، طبع بالمطبعة العلوية مستغانم، الجزائر، ط1، 1385-1966، ص109.

⁵ - إبراهيم بكير بحاز، الدولة الرستمية(160-296هـ/777-909م)، دراسة في الأوضاع الإقتصادية والحياة الفكرية، تنشر جمعية التراث غرداية، الجزائر، ط2، 1114هـ-1993.

كانت رحلة "عبد الرحمن بن رستم"⁽¹⁾ من مدينة القيروان باتجاه المغرب الأوسط، شاقة ومليئة بالمخاطر والمآسي، ولقد وصفها المؤرخ "الدرجيني" بقوله: (خرج عبد الرحمن هو وابنه عبد الوهاب وعبد لهما، خائفين مستخفين، متوجهين إلى أرض المغرب - الأوسط- وليس معه حمولة ولا مركوب غير فرس واحد، فمات في بعض الطريق، فدفنوه مخافة أن تقص أثرهم ، فيطمع فيهم وذلك خارج قسطنطينية فسمي ذلك الموضع (موضع الفرس).

فلما عدموا الفرس وقد ضعفت قوى عبد الرحمن، تعاون عليه ابنه يحمله تارة والعبد تارة أخرى، فلما وصلوا إلى واد أجج وهو جبل منيع قصده عبد الرحمان وتحصن به...لحقه هنالك ستون شيخا من شيوخ الإباضية من طرابلس.

سمع ابن الأشعث الخزاعي، فأقبل مجدا في طلبه، فأخبر بأنه في جبل منيع⁽²⁾ حتى وصله فحاصر "عبد الرحمن بن رستم" فاطال عليه المكث، فرجع إلى القيروان وقد يئس من عبد الرحمن وأصحابه.⁽³⁾

وكان هذا الجبل (سوفج) عامرا بالإباضية فأدركوا عبد الرحمان وأنزلوه بينهم، فسمع به وجوه الإباضية وعلماءها فقصده من كل النواحي والبقاع، حتى اجتمع لديه من طرابلس وجبل نفوسة.⁽⁴⁾

اجتمعت جموع الإباضية التي تقاطرت من كل حذب وصوب، على عبد الرحمان الفارسي والتفت حوله ورأت أنه القائد المناسب الذي سيحقق طموحاتهم في المغرب الأوسط ويؤسس قاعدة أساسية لدولة فتية يلتفتون حولها ويحتمون بها⁽⁵⁾ كثر الإباضيون في هذا الوقت بالذات من المغريين الأدنى والأوسط ومن المشرق الإسلامي وتمركزوا في منطقة واحدة والتفوا حول "عبد الرحمن بن رستم الفارسي" ورأوا ضرورة اتخاذ مكان منيع وآمن ومركز لنشر دعوتهم وبث أفكارهم، والشروع في بناء مدينة يأوون إليها ويتحصنون بها من الأخطار الخارجية.

¹ - محمد علي دبوز، تاريخ المغرب الكبير، مرجع سابق ، ص256.

² - البغدادي، الفرق بين الفرق، دار الآفاق الجديدة بيروت، ط3، 1978، ص163.

³ - البلاذري، فتوح البلدان، تعليق محمود رعان، مطبعة السعادة، القاهرة، مصر، 1959، ص68.

⁴ - أبو داود، سنن، دار الحديث، القاهرة مصر، 1408هـ، 1988م، ص178.

⁵ - ابن حوقل، سورة الارض، مطبعة بريل، ليدن، ط2، 1938، ص97.

الفصل الأول الإباضية في الدولة الرستمية

أجمع الإباضيون الموجودون في المغرب الأوسط على مبايعة عبد الرحمن ابن رستم ليكون أميراً عليهم، والتطلع بعد ذلك لإنشاء مدينة تكون عاصمة لدولتهم فيما بعد، فكان اختيارهم على مدينة تدعى تيهرت.⁽¹⁾

ب- تيهرت:

قرر "عبد الرحمن بن رستم" وجماعته بناء هذه المدينة (تيهت)⁽²⁾، فخرجت طائفة منهم ترتاد صالحاً لهذا المشروع الجديد، فوقع اختيارهم على موضع يسمى تيهت، دون غيره من المناطق، إذ يمتاز بجودة الهواء النقي وكثرة المياه وخصب الأراضي، وقابل للعمارة والتعمير مأمون وآمن للإباضيين من العدو وحصناً منيعاً لهم⁽³⁾ تيهت بعيدة عن القيروان، تفصل بينهما منطقة الزاب⁽⁴⁾ وجبال الأوراس وهي بمأمن من ضربات الأسطول البيزنطي لبعدها عن الساحل، موقع متوسط بين التل والصحراء، وبذلك فهي حلقة وصل بين تجارة الصحراء وما وراء البحر على الطريق بين المشرق والمغرب الأقصى والأندلس الإسلامية.

يتحدث الجغرافي البكري عن كيفية بناء هذه المدينة الجديدة فيقول: (أنهم لما أرادوا بناء تيهت، كانوا يبنون النهار فإذا جن الليل وأصبحوا وجدوا بنيانهم قد تهدم فبنوا حينئذ تيهت السفلى وهي الحديثة، وهي على خمسة أميال من القديمة).

ويضيف البكري: (بأن موضع تيهت كان عيصاً أشبه، ونزل عبد الرحمن منه موضع مربع لا شعراء فيه... وأدركتهم صلاة الجمعة فصلى بهم هنالك وابتدأوا من تلك الساعة، فبنوا في ذلك الموضع مسجداً جامعاً... وكان موضع تيهت، ملكها لقوم مستضعفين من مراسنة وصنهاجة، فأرادهم عبد الرحمن على البيع فأبوا. فوافقهم على أن يؤدوا إليهم الخراج من الأسواق، ويبيحوا لهم بنيان المساكن فاختلفوا وبنوا وسمي الموضع معسكر عبد الرحمن بن رستم إلى اليوم).⁽⁵⁾

¹ - الشماخي، السير، جربة قسنطينة الجزائر، 1301هـ، ص 177.

² - سليمان الباروني، الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية، مطبعة الأزهار البارونية، تونس، ط 1969، ص 116-117.

³ - رشيد بورويبة، الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1977م.

⁴ - زيدان جرجي، تاريخ المدن الإسلامي، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت لبنان، ط 112.

⁵ - البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، ط 1، مكتبة المثنى ببغداد العراق، 1857م، ص 66.

وصف الجغرافيون وأشهر الرحالة مدينة تيهرت بأوصاف مختلفة ومتعددة منها قول البكري (مدينة تيهرت مسورة لها أربعة أبواب: باب الصفا وباب المنازل وباب الاندلس وباب المطاحن. وهي سفح جبل يقال له جزول، ولها قصبة مشرفة على السوق تسمى المعصومة، وهي على نهر يأتيها من جهة القبلة يسمى مينة وهو في قبلتها. ونهر آخر يجري من عيون تجتمع، تسمى تاتش (بالضم)، ومنه شرب أهلها وبساتينها وهوفي شرقيها. وفيها جميع الثمار وسفرجلها يفوق سفرجل الآفاق حسنا وطعما ومشما، وسفر، وسفرجلها يسمى بالفارس، وهي شديدة البرد كثيرة الغيوم والتلج).⁽¹⁾ ويصفها الإدريسي بقوله: (بين مدينة تيهرت والبحر مراحل، ومدينة تيهرت كانت فيما سلف من الزمن مدينتين كبيرتين إحداهما قديمة والأخرى محدثة. والقديمة من هاتين المدينتين ذات أسوار، وهي على قمة جبل قليل العلو، وبها ناس وجمل من البربر ولهم تجارات وبضائع وأسواق عامرة وبأرضها مزارع جمة، وبها من نتاج البرادين، والخيل كل حسن، وأما البقر والغنم فكثيرة بها جدا، وكذلك العسل والسمن وسائر غلاتها كثيرة مباركة.

وبمدينة تيهرت مياه متدفقة وعيون جارية، تدخل أكثر ديارهم ويتصرفون بها، ولهم على هذه المياه بساتين وأشجار تحمل ضروبا من الفاكهة الحسنة وبالجملة أنها بقعة حسنة)⁽²⁾ وقال فيها الحموي ما يلي: (تيهert اسم لمدينتين متقابلتين بأقصى المغرب، يقال لإحداهما تيهert القديمة ولأخرى تيهert المحدث، بينهما وبين المسيلة ست مراحل. وهي بين تلمسان، وقلعة بني حماد، وهي كثيرة الأنداء والضباب والأمطار، حتى أن الشمس بها قل أن ترى).⁽³⁾

وأبدع المقدسي في وصفها حيث قال (تيهert اسم القصبة أيضا هي بلخ المغرب، قد أحرق بها الأنهار والتفت بها الأشجار وغابت في البساتين، ونبتت حولها الأعين وجل بها الإقليم).

¹ - المرجع نفسه، ص 67.

² - الإدريسي: وصف إفريقيا الشمالية والصحروية مأخذ من كتاب نزهة المشاق في اختراق الآفاق، صححه ونشره هنري بريس، الجزائر 1376-1957م، ص 51.

³ - ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، شرح وتحقيق نزار رضا، دار مكتبة الحياة بيروت لبنان، 1965م، ص 79.

وانتعث فيها الغريب واستطابها اللبيب يفضّلونها على دمشق وما أخطأوا، وعلى قرطبة وما أظنهم أصابوا. وهو بلد كثير الخيررحب، رفق طيب، رشيق الأسواق، غزير الماء، جيد الأهل، قديم الوضع، محكم الرصف، عجيب الوصف⁽¹⁾

وذكرها ابن حوقل بقوله: (تيهت مدينتان كبيرتان إحداها قديمة سور لكل إمام خطيب، والتجار والتجارة بالمحدثة أكثر، ولهم مياه كثيرة تدخل على أكثر دورهم، وأشجار ويساتين وحمامات وخانات، وهي أحد معادن الدواب والماشية والغنم والبغال والبراذين الفراهية، ويكثر عندهم العسل والسمن وضروب الغلات).⁽⁴⁾

وعبر عنها القلقشندي: (تيهت القديمة تسمى عبد الخالق، وهي مدينة جليلة، كانت قديما تسمى بغداد المغرب...وبها البساتين الكثيرة المونقة، والفواكه الحسنة، والسفرجل الذي ليس له نظير طعاما وشما).⁽²⁾

زارها ابن واضح اليعقوبي، وعلم معالمها وناسها، فتحدث عنها فقال: (تيهت جليلة المقدار عظيمة الأمر تسمى عراق المغرب، بها أخلاط من الناس تغلب عليها قوم من الفرس، يقال لهم بنو محمد بن أفلح بن عبد الوهاب بن عبد الرحمان بن رستم).⁽³⁾

وصورها صاحب الإستبصار بقوله: (مدنية تيهت، وهي مدينة مشهورة قديمة كبيرة عليها سور من صخر-حجر- ولها قصبة منيعة تسمى المعصومة وهي في سفح جبل يسمى قرقل (جزول)، وهي على نهر يأتيها من ناحية المغرب، يسمى مينه، ولها نهر آخر يجري من عيون، تجتمع يسمتانس منه تشرب أرضها وبساتينها، وكان لها بساتين كثيرة، فيها جميع الثمار، وفيها سفرجل جميع البلاد حسنا وطمعا ورائحة، وبلد تيهت شديدة البرد، كثيرة الغيوم والثلج).⁽⁴⁾

إن هذه الأوصاف التي اتصفت بها مدينة تيهت، ميزتها بعدة مزايا لتجعل منها عاصمة لدولة مستقلة ذات نظام إباضي فيما بعد:

¹ - أبو زكرياء: سير الأئمة وأخبارهم تحقيق وتعليق إسماعيل العربي، المكتبة الوطنية الجزائرية 1399هـ-1979م، ص98

² - ابن حوقل النصيبي، صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت لبنان، بد ط، ب ت، ص86.

³ - المرجع السابق، ص87.

⁴ - المرجع السابق، ص87.

1- تقع تيهرت في منطقة محاطة بقبائل بربرية متعددة، معتنقة المذهب الإباضي كما جاء في سياق حديث البكري: (...وبقبلها لواتة وهوارة وفي قرارات وبغريبها زواغة وبجوفها مطماطة وزناتة ومكناسة، وقد ذكرنا أن بشرقيها حصن لبرقجانة وهي تيهرت القديمة).

وتعتبر نقطة اتصال بالإباضيين الموجودين في مناطق طرابلس ونفزاوة وبلاد الجريد، وكل الأقاليم الشرقية المغربية.⁽¹⁾

2- تقع تيهرت في موقع جغرافي إستراتيجي هام وفي منطقة غنية اقتصاديا، فهي تشتهر بمراعيها الواسعة والشاسعة، وثرواتها الزراعية المختلفة والمتنوعة. ويرجع ذلك أولا وأخيرا لكثرة مصادر المياه فيها. وأنها منطقة تجارية هامة ومهمة بين مدن المغرب الإسلامي لأنها تقع في مكان يتوسط مناطق التل ومناطق الصحراء، وقد حقق لها ذلك السيطرة على المنطقة السهوبية الواسعة، وما بها من طرق تجارية غربا إلى المغرب الأقصى وجنوبا إلى قلب إفريقية الصحراء الكبرى، كما أنها تشرف على الطريق المار من منطقة التل إلى أسفل وادي شلف المؤدي إلى البحر⁽²⁾

هكذا أصبحت تيهرت نموذجا للحياة التجارية الواسعة في بلد المغرب الإسلامي.

كل هذه العوامل السياسية والاقتصادية والتجارية والاجتماعية، مجتمعة جعلت عبد الرحمن بن رستم الفارسي وجماعته من البربر الإباضيين باختيار منطقة تيهرت عاصمة مناسبة لدولة منتظرة.

ثالثا: قيام الدولة الرستمية.

تمثل الدولة الرستمية أبرز حركة استقلالية مبكرة بالمغرب الأوسط، التي أسسها عبد الرحمان بن رستم سنة 160هـ/777م، وعاصمتها مدينة تيهرت ومما يسجله التاريخ لدولة الجزائر -المغرب الأوسط- أنها كانت أول دولة حققت استقلالها في العهد الإسلامي

¹ - البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، مكتبة المثنى، بغداد، العراق، 1857، ص 65.

² - زغلول سعد عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي، ليبيا، تونس، الجزائر، المغرب، دار المعارف القاهرة مصر 1384هـ-1964م، ص 42.

بالمغرب الأوسط، وسجلت قيام حكم إباضي منفصل نهائيا في المجال السياسي والإداري عن الحكم المركزي الإسلامي.⁽¹⁾

أ- حدود الدولة الرستمية:

لم تعرف الدولة الرستمية حدودا ثابتة ومستقرة ومعينة، ظاهرة المعالم خلال تاريخها العريق والطويل لأن في حقيقة الأمر لم تكن تلك الحدود معروفة في ذلك الزمن. وإنما تكون من باب التقريب حتى تتضح الرقعة الجغرافية التي جرت فيها الأحداث التاريخية والسياسية⁽²⁾

قد حكمت الدولة الرستمية من تلؤل منداس شمالا إلى قرب غليزان، ومن غليزان إلى فرندة، ثم ينعطف خطها شرقي جبل عمور إليزاب وورجلة-ورقلة-فجنوبا إلى الأغواط (باب الصحراء الجزائرية)، أي أن هذه الدولة قد استولت على جميع الزاب الجزائري الحاضر ما عدا الزاب شرقا- قسنطينة- وتلمسان غربا، وأما القطاع الشمالي الشرقي ممثلا في مدينة وهران ونهر الشلف، والقطاع الجنوبي ممثلا في ناحية معسكر إلى جبال مديونة أي من أرض الريف غربا، حتى أرض الحضنة من قسنطينة، فقد كان نصيب الدولة الثانية التي ظهرت على يد "إدريس بن عبد الله ابن الحسن العلوي" مؤسس الدولة الإدريسية (172-331هـ/788-983م) التي مقرها فاس.

وأما القطاع الممتد من سكيكدة شرقا إلى وطن زواوة غربا، ومن ميلة وسطيف شمالا إلى شط الجري كما كان جبل نفوسة خاضعا لها لعدة سنوات.

ب- أئمة الدولة الرستمية:

كان حكام هذه الدولة يسمون بالأئمة (جمع إمام)، وهذا اللقب يسير على الإمام كان حاكما مدنيا أو إماما دينيا، على مقتضى الخلافة الإسلامية في العالم الإسلامي والمذهب الإباضي لا يحصر الإمامة في أسرة واحدة، ولكن أعيان تيهرت رأوا أن يحصروها في البيت الرستمي أي في أسرة عبد الرحمن بن رستم الفارسي، حتى لا يصل تنافس القبائل

¹ - ابن تاويت محمد الطنجي ومحمد الصادق عفيفي: الأدب المغربي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط2، سنة 1969، ص30-31

² - أحمد شلبي، موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، ط2، مكتبة النهضة، مصر، القاهرة، ط2، 1984، ص 53.

البربرية. كان الرستميون لا يعترفون، بتبعية سياسة غيرهم، ودستورهم هو العمل بأحكام القرآن الكريم والسنة المطهرة، وحسب ما تؤدّية قواعد اجتهاد أئمة المذهب الإباضي⁽¹⁾

ج- جدول أئمة الدولة الرستمية (160-296هـ/777-909م).⁽²⁾

- عبد الرحمان بن رستم الفارسي 160هـ-777م
- عبد الوهاب بن عبد الرحمان المعروف بعبد الوراث 171هـ-787م
- أفلح بن عبد الوهاب 190هـ-805م
- أبوبكر بن أفلح بن عبد الوهاب 240هـ-854م
- محمد أبواليقظان 241هـ-855م
- يوسف أبو حاتم 281هـ-894م
- يعقوب بن أفلح 282هـ-895م
- يوسف للمرة الثانية 286هـ-899م
- اليقظان بن أبي اليقظان 294هـ-906م
- سقوط الدولة الرستمية وخراب مدينة تيهرت على يد أبي عبد الشيعي 296هـ-909م.

¹ - مرمول محمد الصالح، السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية في بلاد المغرب الإسلامي، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1983، ص 136.

² - عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج1، منشورات دار مكتبة الحياة بيروت لبنان، ط2، 1384هـ-1965م، ص 239.

الفصل الثاني

النشر الفني في العهد الرستمي

I - النشر الفني في العهد الرستمي (الخطابة، فن الترسل).

II-الإمام أفلح و رسائله (تحليل انموذجين).

1 - النثر الفني في العهد الرستمي:

قد أطلق النقاد العرب القدامى بأن مصطلح النثر هو الكلام الذي يتقوه به الخطيب في المواقف المشهودة، والمترسل على كتابة الطوامير، دون أن يكون أي منهما خاضعا لقيود الوزن والقافية، ولعل ذلك أنهم يكونوا أخذوه من معنى الدر المنثور الذي لا يتم الإرتفاق به، إلا إذا إنتظمته عقد، ولا يقع إلا للتلذذ به والتمتع بجماله إلا إذا وضع في الموضع المهيأ له جسم المرأة وهو جيدها، ومن الواضح أن تعليل أفضلية الشعر على النثر كما يسوقه ابن رشيق غير مقنع، ذلك بأن قيمة الدر تظل هي من حيث القيمة المادية والقيمة الجمالية وإنما استمدت من القيمة المادية أساسا.

وحين نجىء إلى الحديث عن النثر الأدبي على عهد الدولة الرستمية في الجزائر وهو العهد الذي يمتد تقريبا من منتصف القرن الثاني إلى نهاية القرن الثالث للهجرة (160هـ/296هـ) ونلاحظ أن الدور الأدبي لهذا النثر لم يك في شيء ثانويا، بل إننا نرى أنه أسهم بشيء من الفعالية والحركة في تأسيس الدولة الرستمية وتطور نظامها والتمكين لإتساعها وتخليد معالم حضارتها.⁽¹⁾

إن تاريخ الأدب يظهر لنا أن ملحمة هوميروس قد ظهرت في فلسفة أفلاطون وإن النثر الفني أو العلمي يحتاج إلى فكر وثقافة وهما لا يتوافران إلا في الحضارة أو في التقدم الإنساني، ومع تطور الحياة وارتقاء الأمم العقلي وتغير نظمها العقلية والسياسية والاجتماعية واتصالها بغيرها من الشعوب، نشأ عن ذلك أن وجدت فيها أفكار وآراء لم توجد من قبل، واحتاجت أن تنظم هذه الأفكار والآراء، وأن تطورها وتعلنها فعجز الشعر عن القيام بذلك فعبر عنها النثر.⁽²⁾

ولكن الذي يعيننا في هذا كله إنما هو الرسائل والخطب، فلنتوقف لدى هذه الأشكال الأدبية لإمكان إلقاء شيء من الضياء على الخصائص المميزة لكل منهم.⁽³⁾

¹ - عثمان سعدي، الجزائر في التاريخ، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2011، ص 246.

² - عمرعروة، النثر الفني القديم أبرز فنونه وأعلام، دار القصة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012، ص10.

³ - عبد المالك مرتاض، الأدب الجزائري القديم (دراسة في الجذور)، دار هومة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2005، ص 83.

أولاً: الخطابة.

إذا كان العرب قد برعوا في قول الشعر، وأبدعوا فيه بحيث صار عنوان أمتهم ودستور حياتهم، ودليل بلاغتهم فإنهم ارتقوا منزلة عالية بما كان عندهم من خطابة، وقد كثرت فيهم وزاد من كثرتها ما كان بينهم من خصام وتشاجر وقتال في أغلب الأحيان، فهذا الصراع المر بينهم أدى إلى ازدهار الخطابة وعلو شأنها وبراعة بيانها، فقد كانوا يفرعون إلى خطبائهم في الملمات وخضم الغارات، يفدون على الملوك والأمراء بخطبائهم الذين ضربوا بسهم وافر في البلاغة وحسن البيان، فكانوا سفراء قومهم وألسنتهم المعبرة الفصيحة، فما من معركة دارت ربحاها بين العرب وغيرهم أو بينهم وبين بعضهم إلا وظهر في غبارها كثير من الخطب التي تمجد الصلح، وترثي القتلى وتدعوا إلى الأخذ بالثأر⁽¹⁾

ولكن الخطابة التي نتحدث عنها هنا ونتصورها بوضعها في إطارها الزماني والمكاني نفترض أنها ربما اصطنعت اللغة المبسطة، بل ربما استعملت بعض اللهجة البربرية في غير خطب الجمعة، كما نفترض للتبليغ أولا ثم آخرا، ومن خلال ذكر أسماء بعض خطباء هذا العصر من أشهرهم "أفلح بن عبد الوهاب" و "أحمد التيه"⁽²⁾ وظهرت أهمية الخطابة أيضا فيما كان يقع بينهم من مفاخرات ومنافرات استدعتها حالتهم الاجتماعية الصحراوية، حيث كان الإفتخار بالأصول والتباهي بالأمجاد والأحساب والعدة والعتاد.

واتجه بعض الخطباء في هذا العصر إلى التحذير والتذكير والخوف من الله الجبار خالق السموات والأرض، والتفكر في ملكوت الله العظيم، والعمل للآخرة والنظر في أحوال الحياة وأنها فانية فناء الإنسان.⁽³⁾

¹ - عبد المالك مرتاض، مرجع سابق، ص 93.

² - عبد الرحمن، عبد الحميد، علي، تاريخ الأدب في العصر الجاهلي، دار الكتاب الحديث، القاهرة 2008، ص 205.

³ - اسحاق بن وهب، البرهان في وجود البيان، مكتبة الشباب، ص 153.

أ- تحديد مصطلح الخطابة:

هناك جملة من التعاريف لهذا الفن الأدبي الذي حظي باهتمام الفلاسفة والأدباء، فوضعوا له تعاريف مختلفة كثيرة منها:

لغة:

جَاءَ فِي مُعْجَمِ الْمُحِيطِ لَفْظُ الْخِطَابَةِ : بِمَعْنَى آخِرِ خُطْبٍ يَخْطُبُ خِطَابَةً وَخُطْبَةً النَّاسِ وَفِيهِمْ وَعَلَيْهِمْ : أَلْقَى خُطْبَةً، خُطِبَ عَلَى الْمُنْبَرِ خُطْبَةً / خُطِبَ فِيهِمْ قَائِلًا أَخْطَبَ الْجَمَاهِيرَ الْمُخْتَشِدَةَ فِي السَّاحَةِ وَالْخِطَابِ هُوَ كَلَامٌ يُخَاطَبُ بِهِ الْمُتَكَلِّمُ جَمْعًا مِنَ النَّاسِ لِإِعْلَامِهِمْ وَإِقْنَاعِهِمْ. (1)

اصطلاحاً:

الخطابة هي نوع من الكلام يعرف بالخطبة يلقي على الناس وغايته التأثير والإقناع وهي فن من الفنون الأدبية عرفه الإنسان قديماً إذ مارسه الأنبياء والزعماء والقادة ، وقد تطور هذا الفن ووضعت أصوله وقواعده وحددت أنواعه وأساليبه (2)

ب- الخطابة في العصر الرستمي وأهم موضوعاتها:

وحين نجى إلى الحديث عن النثر الأدبي على عهد الدولة الرستمية في الجزائر، وهو الذي يمتد تقريباً من منتصف القرن الثاني إلى غاية الثالث للهجرة (160هـ-296هـ) نلاحظ أن الدور الأدبي لهذا النثر لم يكن في شيء ثانوياً، بل إننا نرى أنه أسهم بشيء من الفعالية والحركة في تأسيس الدولة الرستمية وتطور نظامها والتمكين لإتساعها وتخليد معالم حضارتها.

ومن الطبيعي أن تكثر الخطب والوصايا مع الدولة الرستمية إلى سقوطها، إذ كانت دولة إباضية وكان أئمتها يدعون رعيّتهم في محيطها وخارج محيطها إلى امتثال دعوتهم مع تقوى الله وخشيته والقيام بفروضه الدينية، وقد يطلبون إليهم في بعض خطبهم طاعة

¹ - أديب اللجمي وآخرون، المحيط معجم اللغة العربية، تقديم محي الدين صابر ، المكتبة الوطنية ، عمان، 2002 ، ص517.

² - إميل ناصيف، أروع ما قيل في الخطب، دار الجيل ، بيروت، ط1، 1995 ، ص5.

من يولونهم عليه من ولائهم. والمشهورة أن لهؤلاء الأئمة كلهم دواوين وخطب الجمعة⁽¹⁾ والأعياد، حيث أن هذه الخطب صيغت بصيغة دينية مستهلها بالبسملة وختامها الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم.

فالخطابة بلغت أوج ازدهارها وذلك يعود إلى تأثر خطباء العصر بخطب "علي بن أبي كرم الله وجهه".⁽²⁾

ج- موضوعاتها:

نلاحظ أن الخطابة حادت عن وظائفها الرسمية الموضوعية لها من العهود الأولى التي عقت العهد الراشدي، فبدلاً من معالجتها لشؤون المسلمين واهتمامها بقضاياهم السياسية والاجتماعية، راحت تخوض في الحديث عن المواضيع الأخيرة أو إيرادها لخطاب مذهبي معين، كالذي نعثر عليه في نصي خطبتي الجمعة الذين كان الرستميون يرددونها كل جمعة، وإن عسر علينا تحديد التاريخ الذي وقع فيه رفض خطب علي، كذلك كانوا أحرص ذلك شأن نفترضه افتراضاً، ولكنه مستنكر في هذه الحال على مخاطبة الناس من أجل توجيههم توجيهاً مذهبياً وسياسياً، فلم يكن من المعقول التعويل على نصوص خطب قيلت في النصف الأول من القرن الأول من الهجرة، ولم تعد تتلائم مع أذواق الناس في تيهرت وما ولاها من أعمالها، ولا مع الاتجاه المذهبي نفسه للدولة الرستمية.

د- خصائص الخطابة في العصر الرستمي:

ولعل أبرز ما يميز هذه الخطب ما يلي:

- 1- الإقتباس من القرآن الكريم والاستشهاد بآيات منه
- 2- الإقتباس من خطب الرسول صلى الله عليه وسلم خاصة مطلع حجة الوداع
- 3- طغيان النزعة الدينية على النزعة الأدبية حيث يغيب التخييل ويحضر الخطاب الديني.
- 4- اعتمادها على الأسلوب البسيط باللغة غير متكلفة أو مثقلة بألوان السجع والبديع مع التأثير بالقرآن الكريم.⁽³⁾

¹ - رندة شايب، كنزة طاهري، الخطابة في العهد الرستمي، دراسة أسلوبية، (مذكرة ماستر)، جامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي، 2017م/2018م.

² - عبد المالك مرتاض، مرجع سابق، ص 98.

³ - بن غوتي خيرة، عبد اللاوي فتيحة، فن الترسل الرستمي، دراسة أسلوبية، (مذكرة ماستر)، جامعة تلمسان، 2013م/2014م.

نموذج من الخطابة الرستمية:

نص الخطبة: لأحمد بن منصور.

قال: أحمد بن منصور في يوم من أيام الجمعة: الحمد لله الذي ابتداءً الخلق بنعمائه، وتغمدهم جميعاً بحسن آلائه، فوق كل أمر منهم في صباه على طلب ما يحتاج إليه من غذائه، وسخر له من يكلوه إلى وقت استغنائه، ثم احتج على من بلغ منهم بالآيات وحذر إليهم وأعذر إليهم بإيلائه (كذا) الذي لم يزل بصفاته وأسمائه، لا يشتمل عليه زمان، ولا يحيط به مكان، خلق الأماكن والأزمان ثم استوى إلى السماء وهي دخان، فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً، قالتا أتينا طائعين فقدرها أحسن تقدير، واخترعها من غير نظير، لم يرفعها بأعمدة تدرك بالمعينة، ولم يستعن عليها بأحد استكباراً عن الشركة والمعاونة، وزينها للنّاظرين، وجعل فيها رجوماً للشياطين، فتبارك الله أحسن الخالقين، تعالى أن تطلق في وصفه آراء المتكلفين أو أن تحكم في دينه أهواء المتقلّدين، بل جعل القرآن إماماً للمتقين وهدى للمؤمنين وملجأً للمتنازعين، وحكماً بين المتخالفين، ودعاً أوليائه المؤمنين إلى إتباع تنزيله وأمرهم عند التنازع في تأويله بالرجوع إلى قول رسوله صلى الله عليه وسلم - بذلك نطق حكم كتابه إذ قال جلّ ثناؤه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ...إِلَى قَوْلِهِ...وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ وتعهد نبيه صلى الله عليه وسلم - عند رجوع الأمة في تأويل ما أشكل عليها إليه بأن يبين لهم معنى ما أنزل عليه فقال: ﴿وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ سورة النحل الآية 64، ولم يكلّ لهم تعالى إلى القول في دينه بآرائهم، ولا أذن لهم في مسامحة أهوائهم فتكون الأحكام مبتدعة، والآراء مخترعة، والأهواء متبعة بل أحصاها كلّ شيء عدداً، وضرب لكل شيء أمراً، ليهلك من هلك على بينة، ويحيى من حيى على بينة. أحمدته حمداً يبلغ رضاه ويحسن ألاه وأستعينه على ما استحفظنا من ودائع وحفظنا ما استودعنا من شرائعه وأومن به إيمان من أخلص له عبادته واستشعر طاعته، وأتوكل عليه توكل من انقطع إليه ثقة به ورغبة فيما لديه وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة معترفاً له بالربوبية والتوحيد، مقراً له بالعظمة والتّحميد خائفاً من إنجاز ما قدم إليه من الوعيد، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله اصطفاه لنفسه ولها وارتضاه لخلقه نبياً فأوجده على حفظ ما ضمنه قوياً وبأداء ما استودعه ملئاً، وبالدعاء إلى ربه خفياً، ومتوقفاً عن

ورود المشكلات ومشمرًا عند انجلاء الشبهات، لا يرعى لمن عدله ولا يلوى على من خذله ولا يطيع غير من أرسله، يصدع بالأمر ويطفئ نار الكفر ولا تأخذه في الله لومة لائم، ولم يحرف عنه لرغم راغم أرسله على حين فترة من الرسل ودرس من السبل وتضامن من أهل الملل والناس فريقان: عالم متكبر وجاهل مستظهر فاعالم الذي سبق له الخذلان ينزعه الشيطان ويجمع به الطغيان فيستكف عن الدخول في دين الإيمان، والجاهل مستكف في غيه متحير في أمره، منتظرا ما يكون من غيره فلم يزالا يعكفان على الأزلام ويعتصمان بالأصنام والرسول عليه السلام يرعى رعى السوام ويدعوهم إلى دار السلام فلم يزل -صلى الله عليه وسلم- يعظمهم بالآيات ويقرعهم بالمعجزات حتى استقام من أراد الله توفيقه من سائر أهل الديانات فبلغ المحكمات وأوضح المشكلات وزجر عن القول في الدين بالشهوات، فختم الله به النبيين وأكمل به الدين وأوجب به الحجة على العالمين، صلى الله عليه وعلى آله الطيبين وإخوانه من المرسلين وأوليائه من المؤمنين. ثمجلس فقام وحكم قائلا: الحمد لله نستعينه ونستغفره ونؤمن به ونستهديه ونستتصره ونبرأ من الحول والقوة إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فهو المهتدي، ومن يضل فلا هادي له، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنحمدا عبده رسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، الله ربنا ومحمد نبينا والإسلام ديننا والكعبة قبلتنا والقرآن إمامنا، رضينا بحلاله حلالا وبحرامه حراما لا نبتغي عنه بدلا ولا عنه حولا ولا نشترى به ثمنا، لا حكم إلا الله إتباعا لكلام الله وسنة نبيه عليه السلام وخلافا لأهل البدع، لا حكم إلا الله خلعا ونبذا وفراقا لجميع أعداء الله، لا حكم إلا الله ولو كره الجبارون الحاكمون بغير ما أنزل الله وأشهد أنمن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون والظالمون والفساقون اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما صليت وباركت ورحمت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إناك حميد مجيد، اللهم صل على العصبتين المباركتين من المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان، اللهم ارحم الشراة في سبيلك أهل الفضل في الإسلام وصل على الخليفين المباركين بعد نبيك محمد أبي بكر وعمر إمامي الهدى بما عملا به من كتابك وما أثاره من سنة نبيك، اللهم وأصلح الأمير ابن محمد، أصلحه وأصلح على يديه ووفقه للخير ... وأعنه عليه وافتح له من عندك أعوانا

وأنصارا على طاعتك، اللهم أعزز به الإسلام وأذل به الكفر وأهله أنصره نصرا عزيزا، وافتح له فتحا يسيرا، وهب له من عندك سلطانا نصيرا، كفى بك وليا وكفى بك نصيرا، اللهم اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا، ربنا إنك رؤوف رحيم " ثم قرأ قل هو الله أحد ونزل .أخبار الأئمة الرستميين.⁽¹⁾

ثانيا: الترسل.

يندرج فن الترسل ضمن دائرة التعبير عن الذات، وتبليغ ما في النفس الباطنة إلى متلق غير حاضر إلا في الذهن، ولعل "الرسالة" التي جاء منها "الترسل" أن تكون مأخوذة من إرسال الشيء بمعنى نشره أو بثه أو تبليغه أو إظهاره ضمن حيز معلوم، فكأن الرسالة من هذه الوجهة اللغوية الخالصة، إرسال لمخبات النفس وهواجسها خارج مدى الصوت المرسل أو اللفظ المديح.

وكما أن لكل جنس أدبي مقوماته وخصائصه النفسية، وأدواته التقنية أيضا، فإن لجنس الترسل خصائصه التي يجب أن يتميز بها عن الأجناس الأدبية الأخرى لكي لا ينتسب لأي جنس أدبي آخر، إنه لا يمكن أن نلحقه بالحكاية، ولا بالمقامة، ولا بالخطبة ولا بالقصيدة مثلا(وذلك إذا أخضعنا هذا التصنيف لسيرة الأدب العربي على ذلك العهد) إذ كانت خصائص كل هذه الأجناس منفصلة، مختلفة بعضها عن بعض.⁽²⁾

وقد برع في هذا الفن كتاب في الأدب العربي، بفضلهم تم وضع الأصول الكبرى لهذا الجنس لعل من أشهر عبد الحميد الكاتب، وعبد الله بن المقفع ومحمد بن محرز الوهراني وابن الخطيب، وابن شرف القيرواني وغيرهم...⁽³⁾

فالرسالة التي نتحدث عنها ينهض الاعتبار فيها على تحديد المستوى الثقافي والطبيعية المذهبية للمرسل إليهم أو المتلقين، والمتلقون هنا تجسدهم الرغبة في عهد الرستمية طورا وولادة هذه الإمارة وقادتها طورا آخر، ولقد جمع لنا البارروني أطرافا صالحة من هذه النصوص الرسائية التي تنتمي في معظمها إلى أمرين اثنين هما أفلاح بن عبد الوهاب

¹ - ابن الصغير، تحقيق د: محمد ناصر وإبراهيم بخار بكير، المطبعة الجميلة 1986م ص 106.

² - عبد الرحمان، عبد الحميد علي، مرجع سابق، ص 205.

³ - عبد المالك مرتاض: تاريخ الأدب الجزائري القديم، مرجع سابق، ص 91.

ويستأثر بأربع رسائل، وابنه محمد بن أفلاح الذي يستبد برسالة واحدة إذن خمسة نصوص تتوزع على زهاء ثلاث عشرة صفحة.

أ- أعلامه:

إن أغلب الرسائل التي كتبت في عهد الرستميين في أغلبها كانت من أئمة الدولة الرستمية إذ كانت لهم علاقات مع إخوانهم في المشرق من الإباضية وما بينتناجحة حكمهم بخلافات واضطرابات الخارجين من طامع فيها أو منبع لمذهب جديد غير الإباضية، فنشطت حركة الترسل فكثرة رسائلهم وكانت تتحكم إلى قواعد الكتابة الإنشائية المعروفة في الأدب العربي ويلتزم بنية وهيكلية الرسائل.

وبحكم حفظهم للقرآن الكريم وجهوها لأشخاص بقصد الإرشاد والنصح حتى لا يحيدون عن المنهج الرباني نو قد وردت رسائلهم قليلة لعبثهم بها خاصة بعد حرق مكتبة المعصومة التي كانت أكبر سبب ضياع هذا التراث وقد وردت في مؤلفات مثل "الأزهار الرياضية" للباروني، " وكتاب سير الأئمة وأخبارهم" لأبي زكرياء يحيى بن أبي بكر والأدب الجزائري القديم (دراسة في الجزائر) لعبد المالك مرتاض.⁽¹⁾

وقد كانت الكتابة كثيرة في العهد الرستمي مثل ماورد في رسالة أفلاح بن عبد الوهاب يقول فيها " أكثرتم فيه من الكتب ووصفتهم عنه أشياء".

ب- موضوعاته:

لقد شهدت فترة بني رستم ازدهار فن الكتابة ذلك أنها كانت دولة فتية وفي حاجة إلى بسط سلطانها على الأقاليم والولايات التي تحت قبضتها ولم يكن من وسيلة للإتصال في ذلك الزمان غير الرسائل بما تحمل من تعليمات وأوامر لولاة تلك المناطق، فكانت الرسائل بمثابة المراسيم والتعليمات الرسمية التي تصدر عن السلطة الحاكمة، لكن تلك الرسائل المفروض أنها تبودلت بين الأئمة الرستميين وولاتهم ولم يبق منها إلا القليل بعد أن تدخلت فيها يد البشر فسادا، أما الرسائل الإخوانية فلم يبق منها لا قليل ولا كثير ومع هذا فقد وجدت خاصة بين العلماء والإخوان والأصدقاء.⁽²⁾

¹ - محمد علي دبوز، تاريخ المغرب العربي الكبير، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، مصر، 1383-1963، ص461.

² - محمود بن مبارك بن حسين السليمي، أثر الفكر الإباضي في النثر العماني في القرنين الثالث عشر والرابع عشر، دراسة أسلوبية، جامعة الأردن، تموز 2001م.

أما الرسائل الديوانية، فقد تناولت الموضوعات التي تهتم بالشؤون العامة للدولة الرستمية وما حدث فيها من أحداث، ومن فتن الواقعة في الدولة فنجد موضوعات هذه الرسائل الديوانية، هو التطرق إلى العقيدة ووجوب التمسك بالدين، ويغلب على تلك الرسائل طابع الوعظ والإرشاد والتوجيه الديني الذي كان سمة الدولة الرستمية. ومن بين هذه الرسائل، رسالة الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن إلى أهل طرابلس، يذكر فيها قواعد الإسلام و السلوكات التي يجب أن يتصف بها المسلم في مجتمعه. كانت موضوعات ومحتوى الرسائل دينية سياسية ، هذا راجع لكون أن الأئمة الرستميين أهل فقه ومعرفة بأمور الدين متمسكون بالعقيدة قولاً وفعلاً، والإمامة عندهم هي العمل بأوامر الله والإبتعاد عن نواهيه والسير على نهج الصالحين والتمسك بالعروة الوثقى.

نموذج: من فن الترسل الرستمي.

رسالة أبي اليقظان إلى جميع رعيته:

"بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم"
 "من محمد بن أفلح إلى جميع من بلغه كتابنا من المسلمين، سلام عليكم وإني أحمد الله الذي لا إله إلا هو وأسئلة الصلاة على نبي الرحمة وهادي الأمة صلى الله عليه وسلم -أما بعد- فإن أفضل ما يتوصى به العباد ويتحاضوا عليه تقوى الله تعالى ولزوم طاعته والزجر عن معصيته والترغيب فيما يورث الثواب من القول الطيب والعمل الصالح، وعليكم معاشر المسلمين بالتهيء على لقاء الله والتأهب والاستعداد ليوم تشخيص فيه الأبصار وتتغير فيه الألوان ويشيب فيه الولدان وتذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هو بسكارى ولكن عذاب الله شديد، واعلموا رحمكم الله أن أهل العلم بالله القائمين بهذه الدعوة قد انقرضوا وقلت الخلوفا منهم فرحم الله امرءاً مسلماً احتسب بنفسه وأرصدها لله في طلب العلم والنقض على من حاد الله وعدل عن منهاج رسول الله صلى الله عليه وسلم⁽¹⁾ وضاد المحقين من عباده حتى تكون كلمة رسول الله هي العليا والباطل زهوقاً، وعليكم معاشر المسلمين بإتباع الماضي من أسلافكم والمتقدمين من أئمتكم الصالحين من أهل دعوتكم فافتقوا آثارهم واهتدوا بهداهم

¹ - سليمان الباروني، الأزهار الرياضية في أئمة و ملوك الإباضية، ص 259.

واحذروا الزيغ عن طريقهم والميل عن مناهجهم، وخالفوا أهل البدع المضلة والأهواء المذلة ممن أراد أن يبذل دينكم ويلبسكم شيئا ويلبس عليكم أمركم ممن اتبع هواه واستحوذ عليه الشيطان ونبذ ما جاء به القرآن فألبس على الضعفاء أمرهم وزين بدعته في قلوبهم فخدع من لا بصيرة له ولا علم بما مضى".

عليه الأئمة الراشدون، رحمة الله عليهم والسلف الصالحون من أهل دعوتكم فأفضل كثيرا وضل عن سواء السبيل وقد ذكرنا لكم ما فيها الكفاية إن شاء الله وبه نستعين وعليه نتوكل وما توفيقنا إلا بالله آه⁽¹⁾

II- الترسل عند الإمام أفلح:

أولاً: ترجمة الإمام أفلح بن عبد الوهاب.

هو أبو سعيد ميمون الأفلح أطول أئمة هذه الدولة مدة في الملك، فإنه بويق وفاة والده عبد الوهاب سنة (190-805م) إلى أن توفي سنة (240هـ-854م) أي مدة خمسين سنة، وكان يسلم عليه بالخلافة كما ذكره ابن فقيه الهمذاني، وكانت أيامه كلها أيام رغد ويسر وهو أحد أئمة الدولة البارزين والعلماء العارفين، ذا أدب، جم واطلاع واسع وشعر رقيق ومتانة في الدين، كانت له مواقف، حاسمة رد بها على ثوار جبل نفوسة وهو تارة سيلك معهم مسلح اللين واللفظ، وتارة يأخذ بالشدة والعنف وكان الانتصار حليفه دائماً.⁽²⁾

كان الإمام عبد الوهاب كأبيه عبد الرحمن في قوة الشخصية، وفي العلم والدعاء والورع والتقوى، وفي الحزم والدهاء وفي الطموح والكمال والغرام بالمعالي، ولقد ورث الإمام عبد الوهاب كل خصائص أبيه الحسنة وورث من أمه أيضاً، ما ضاعف تلك الخصائص وقواماً في نفسه، فكان تلك الشخصية العظيمة التي تسمت بما الدولة الرستمية ذروة الشباب وكانت أمه بربرية، من بني يفرن من زناتة وبني يفرن قبيلة من شعب زناتة، متصفون بالشجاعة الخارقة وبالعزق والإباء وبالاعتداء بالنفس، وكان أفلح

¹ - أعوش بكير سعيد، دراسات إسلامية في الأصول الإباضية، قسنطينة، الجزائر، ط1، 1402هـ-1982م، ص 153.

² - ينظر، مبارك محمد الملي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج2، ص544.

جميل الصورة قد اجتمع فيه جمال أبيه الفارسي، والجمال البربري البارع فكان بهما على صورة رائعة زادت في شخصيته ونباهته ولفتت إليه العيون.⁽¹⁾

وكل هذه تفرض أن تكون أم عبد الوهاب ، جميلة وشجرة ورد تجلّ لها حلالها الفتانة من زهورها وتتجب لنا الورود الرائعة والسلالة البهية ،وقد نشأ الإمام أفلح بن عبد الوهاب في حجر أبيه وأروثه النزاهة والإستقامة والتمسك بالدين وكل خصائصه الكريمة، وكان مغرماً بالعلم كأبيه متلهفاً إلى المعرفة مثله لايسكن قومه إليها ولا يفتر حبه للعلم والعرفان ،وقد تلقى علومه الابتدائية والثانوية من أبيه ثم أقبل على خزانة كتب والده وعلخزائن أهل عصره التي يصل إليها، وقد استطاع أن يحل المشاكل الكبرى، ويخدم الثورات التي أشعلها العباسيون والملكيون الآخرون بضائعهم في تيهرت، فلولا براءة السياسة وذكاءه الذي مكنه من القضاء على مؤامرة العباسيين وغيرهم وشجاعته وحزمه والتفات الدولة حوله.⁽²⁾

إنن أفلح عبد الوهاب لما فقد والده أبااليقظان، وعلى أنه رفع إلى بغداد اشتدا حزنه عليه وطال غمه به، فلم يزل مهموم محزون إلى أن وافته وابنه محبوس ببغداد واجتمعت الإباضية فلن يصيب في أولادأفلح إذ فقدواأبا اليقظان أرجح عندهم من ولده أبي بكر.⁽³⁾

ثانيا: موضوعات رسائل الإمام أفلح.

للإمام أفلح رسائل دينية تحمل في طياتها وعظا وإرشادا ونصحا وحكما وأجوبة جامعة تدل على مقدرته الأدبية وعظيم فضله في الحكم وإدارة شؤون المسلمين يقول الباروني " وله عدة مؤلفات ورسائل وأجوبة جامعة لنصائح ومواظ وحكم دلت إلى مافيه الفضل والكمال والعدل وفي غزارة العلم وقوة الإدراك من الإنتاج.

الوعظ والإرشاد من أهم القضايا التي استقطبت اهتمام الأميرأفلح ويتمثل الخطاب النثري عند الإمام أكثر مما يتمثل في الرسائل التي أنشأها ذلك لعدة دواع منها:

الدعوة إلى الدين والوعظ والإرشاد الدعوات السياسية مكانية الخارجية عن سلطان الدولة كتفشي ظاهرة نفاث... وكان ورعا متمسكا بالدين كل التمسك في كل الأشياء، وكان

¹ - ينظر، عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج1، ص230.

² - ابن الصغير اخبار الائمة الرستميين، تج، محمد ناصر ابراهيم أبحاز، دار المغرب الاسلامي ، بيروت، لبنان، ط1986، 1، ص69.

³ - مرجع نفسه، ص70.

حازما محبا للعمل ويتولى مهمات الدولة بنفسه وكان قد نشأ في أيام جده الإمام عبد الرحمان لما كانت الدولة في طفولتها.

ف نجد أن الإمام أفلح له عدة رسائل وأجوبة مفيدة جدا في فنون شتبع بعضها "موجود وبعضها مفقود" وهي دائم ذات غرض ديني وإرشاد وتوجيه⁽¹⁾

وسنتناول في هذا الفصل دراسة تطبيقية لرسائل الإمام أفلح بن عبد الوهاب ونستخرج معظم الجماليات التي استخدمها في رسائله وجعل منها رسائل متكاملة من حيث أسلوبها وصورها التي يتجه إليها أغلب الأدباء لنهل أروعا لألفاظ وأجمل الصور التي كان يستخدمها في رسائله وهذا ما سنتطرق إليها الآن.

ثالثا: تحليل رسالتين للإمام أفلح.

تعود أهمية هاتين الرسالتين إلى تبيان وتوضيح وإظهار الأثر الإباضي في النثر الرستمي، وذلك من خلال الرسائل الديوانية التي عرفت انتشارا كبيرا وأشارت إلى بعض ما حدث في تلك الفترة من حكم بني رستم كرسالة أفلح بن عبد الوهاب إلى جبل نفوسة "نفات" ورسالته التي بعث فيها إلى المسلمين في حق نفات وكانت تحمل في طياتها وعظا وإرشادا ونصحا وأجوبة جامعة تدل على ضرورة التمسك بالدين والعقيدة.

أ- تحليل الرسالة الأولى:

1- نص الرسالة (1):

فالحمد لله المنعم علينا، والمحسن إلينا، الذي بنعمته تتم الصالحات، ولا يهتدي مهتد إلا بعونه وتوفيقه، فل المنة علينا، ولا منة لنا عليه، وهو المحسن إلينا إذ هدانا لدينه وجعلنا خلفا من بعد أسلافنا الصالحين، وأئمتنا المهتدين، الذين في إتباعهم نرجو الهدى،⁽²⁾ وفي مخالفتهم نخشى الهلكة، ولن يهتدي من خالف العدل، ولن ينجو من ابتدع غير الحق، لأن تلك البدعة ضلالة، وكل ضلالة كفر، وكل كفر في النار، وقد كتبت إليك غير كتاب أنصح لك فيه، وأدعو إلى رشدك وفي كل ذلك لا يبلغني من عمالنا فيك إلا أكره ولا أرضاه لدين ولا دنيا، حتى حررت كتاب منشورا إلى عمالنا أمرتهم فيه بخلع

¹ - أبي زكرياء بن أبي بكر، كتاب سيرة الأئمة، دوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984، ص 129-128.

² - سليمان الباروني، مرجع سابق، ص 201.

كل من خالفسيرة المسلمين وابتدع غير طريقهم وسار بغير سيرتهم، وبنفيه وهجرة وإقصائه، فكتبت إلي كتابا كأنك تسخط ذلك، أترى أنني أوازر من ابتدع في ديننا؟ كلا إما كنت بالذي يفعل ذلك، ولا أوازر من يسعى في خلافنا ما كنا على الهدى. ثم قلت: إن أمرنا في كتابنا بالبراءة، فإن كنت كما كتب به إلينا عمالنا، فأنت محقوق بالبراءة، ومقصي من جماعتنا، لأننا ما كتبنا كتابنا ذلك إلا على أن كل منابتدع في ديننا خلاف أسلافنا، وزعم أن عمالنا أساقفة، وأنهم لا طاعة لهم في حال كتمانهم فهو محقوق بالبراءة ومقصي من جماعة المسلمين، فإن تكن أنت منهم فأنت الذي أبحث لنا البراءة منك، وأحلت بنفسك ما لا بد لنا أن نفعله بك وبغيرك، وإن لم تكن كذلك فأظهر الانتفاء من ذلك، وكذب عن نفسك ما قيل عنك، لتكون عندنا بالحالة التي تستحقها وتستوجبها وأما قولك، تب مما كتبت به، فهو منك عبث إذ لم أشاهدك ولم أشاهد موافقتك حتى يجب لك علي أهل ولاية، ولم يكن عندي تقدمه في الموافقة.

وإنما رفع إلينا ما رفعه أهل الثقة عندنا، فأمرنا عمالنا أن يسيروا في كل من ابتدع بسيرة المسلمين وكتبنا إليهم بذلك، فجعلت تكتب إلينا فيما ليس لك به كتاب، فعلام تتجاهل في الأمور؟ فإن كانت غايتك إنما هي أن تكتب إليك وتجيّب، وتكتب إلينا ونجيّب، فهذه غاية قصيرة، والسكوت عنها أهنا وأولى بنا ونحن بمأمنينا به أحق من مجاوبة أهل التكلف. ومن ليس له غاية إلا أن يقال فيه، كتب فلان، وقال فلان وفلان يفعل، ويفعل فلان... وإن كانت غايتك التصحيح فانف عن نفسك مارقي عليك، وكن من جماعتنا وموافقي أسلافنا، فإذا تبينت منك الموافقة و الانتفاء مما رقي عليك كان ذلك هو الذي نحبه منك ومن غيرك، وليس لك عندي غير هذا وإن يكن حقا مارقي عليك وما قيل فيك، من مخالفة أصحابنا، فأنت وما رضىته لنفسك.⁽¹⁾

وإني غير كاتب إليك كتابا بعد هذا إلا أن انتهى إلينا منك، ما نحبه فننزلك من أنفسنا بحيث تحب، والله المتسعان ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

¹ - سليمان الباروني، مرجع سابق، ص 266.

أفلح بن عبد الوهاب

2- البناء الفكري:

2-1- مناسبة الرسالة:

لم تخرج الرسائل الرستمية عن الهيكل البنائي المعروف لفن الترسل في الأدب العربي فقد استوت على مقدمة ومضمون وخاتمة فنجد ما يلي:

2-2- مقدمة الرسالة:

تضمنت مقدمات الرسائل الرستمية ما كان متعارف عليه في ذلك الوقت فقد اشتملت بعد البسملة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم والمرسل والمرسل إليه ويوجد في بعض الرسائل الأخرى الحمد والثناء، أما في رسالته التي بعث بها إلى نفاث بن نصر فإنه لم يفتتح رسالته بالبسملة ولا بالصلاة والتسليم على النبي صلوات الله وسلامه عليه بل دخل إلى موضوع الرسالة مباشرة وفي الأخير اختتمها بالحوقة (لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم)⁽¹⁾

كان فرج بن نصر النفوسي الذي اشتهر "بنفاث" من علماء الإباضية المشهورين بغزارة العلم والاجتهاد وصواب الرأي، اعترف له بذلك خصومه من شيوخ المذهب وسجلوا الحقائق والأساطير حول علمه ورجاحة عقله وقوة فكره فقالوا أنه أخذ العلم عن الإمام "أفلح" نفس الذي كان قد ظهر نبوغه قبل أن يبلغ الحلم ونصوا على أنه لم يكن ليكتفي بالعلم النظري، بل كان يسعى إلى إثبات النظرية بالتجربة، لهذا كان يسعى الإمام أفلح بن عبد الوهاب إلى إرجاعه إلى صوابه وإبعاده عن الأفكار البدائية.

2-3- مضمون الرسالة:

تنتقل المقدمة إلى المضمون في الرسائل الرستمية بكلمة: "أما بعد" وهي للدخول إلى موضوع الرسالة فقد كانت موضوعات ومحتوى الرسائل الرستمية دينية وسياسية هذا لأن الأئمة الرستميين أهل فقه ومعرفة بأمور الدين متمسكون بالعقيدة قولاً وفعلاً، والإمامة عندهم هي العمل بأوامر الله والإبتعاد عن نواهيه والسير على نهج الصالحين والتمسك

¹ - الباروني، الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية، مرجع سابق، ص 90.

بالعروة الوثقى ومن شروط الإمامة أن لا غفلوا عن أمور الرعية ولا يتركوا لها الحبل على الغارب حتى لا تضيع أحواله وبذلك يقاس الإمام (1)

فشتى الرسائل المكتوبة للإمام أفلح كانت أغلبها ديوانية للإشارة عما حدث في تلك الفترة من حكم بني رستم كرسالة "أفلح بن عبد الوهاب" إلى جبل نفوسة "نفاث" ورسالة الإمام "عبد الوهاب" إلى جبل نفوسة في مسألة خلف بن السمح وفي مضمونها كانت تحمل في طياتها وعظا وإرشادا ونصحا وأجوبة جامعة تدل على تمسكهم بالدين والعقيدة كما نجد في رسالة "بن أفلح عبد الوهاب" لأبي البشير بن محمد بنصحه ويحذره في الوقت نفسه في قوله: " ألبسك الله عافيته فإني أذكرك عظمة الله لا تتساهها، وذكر في صغير خلقت وفي عظيم ما خلقه الله وما جعله من النكال والعذاب لابن آدم ومن عافى به من فاز برحمته" فجل موضوعاتهم كانت تصب في قالب ديني سياسي ذلك لأن كلها رسائل ديوانية أشارت إلى بعض ما حدث في تلك الفترة من حكم بني رستم كما في رسائل "أفلح بن عبد الوهاب" في شأن نفاث فهذه الرسالة لا تخرج عن إطار الرسائل التي ألفنا قراءتها لأئمة بن رستم والتي تركض في جلها، حول الوعظ والإرشاد، والنصح، والايصاء، والترغيب والترهيب، فأفلح هنا، إنما يجادل ويناقش! أي أنه يفكر ويقدر العقل بالعقل، إلا أنه لم يفتح رسالته بالبسملة ولا بالصلاة والتسليم على النبي صلوات الله وسلامه عليه، وإن كان اختتامها بالحوقة، لا لأنه كان غاضبا عليه، بريئا منه، كما زعم ذلك الباروني، وإنما قد يكون ذلك كان من باب سياق قوله تعالى: (إِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) سورة سبأ الآية 24.

فكان "أفلح بن عبد الوهاب" انطلق من موقف محايد في جداله ونقاشه لرجل كان يشك في إيمانه بالله، حتى يجعله يقتنع ويتأمل، ويفكر ويتدبر، وإلا فإن الأمير أفلح في حقيقة الأمر حمد الله في رسالته وأثنى عليه....

وأيا كان الشأن، فإن "أفلح بن عبد الوهاب". كان في موقف حرج، وكان لا مناص له منه أن يتخذ موقفا صارما إزاء نفاث المتمرد، وإلا استضعفته العامة، وأنصت عليه بالأئمة، وربما شفت عليه عصا الطاعة، بل ربما حملها ذلك على التطلع إلى الفتك به، وإن سكنت عنه العامة سينتقده مجلس الشراة، فكان إذا، مضطرا إلى أن يجعل حدا

¹ - المرجع السابق، ص 91.

للتراسل بينه وبين المنشق عليه نفاث في هذه الرسالة الأخيرة التي وصلتتنا دون سواها، مما كان يكتب به إليه (وذلك في حدود من انتهى إليه علمنا على الأقل)، فأنذر " الخارج عن الطاعة لكي يختار: إما أن يثوب ويتوب، وإذن، فسيكون لدى الإمام بالحالة التي يستحقها ويستوجبها وينزله من نفسه بحيث يحب وإما أن يختار ما رضي به لنفسه من الاعتراض والمخالفة والعناد فتحقق البراءة منه وتعني البراءة هنا إهدار دمه، والتعرض للعقاب المبرح مما حمل الرجل أن يتشرد فاراً برأيه.⁽¹⁾

2-4 - خاتمة الرسالة:

لم تخالف الرسائل الرستمية ما كان متداولاً ومعروفاً في الرسائل الأدبية فنجد بعضها يختتم بجمل أمرية تفيد النصيح وفي مرات أخرى اختتمت الرسائل الرستمية بالدعاء والسلام. كما ختم بعضها بالدعاء والصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم أما بالنسبة لرسائله التي بعث بها إلى نفاث فكان اختتامها بالحوقة. فالرسائل الرستمية لم تخرج عن نمط الرسائل الشرقية فقد استهلّت بالمقدمة بالحمد لله ثم من فلان إلى فلان المرسل إليه ثم عقبها بالحمدلة والصلاة على رسول صلى الله عليه وسلم ثم قوله أما بعد وختام هذه الرسائل إما بالدعاء أو السلام كما ذكرنا آنفاً.⁽²⁾ كما يلاحظ في رسالة الإمام أفلح انه لم يفتتح رسالته بالبسملة ولا بالصلاة والتسليم على النبي صلوات الله وسلامه عليه وأنه لم يختتمها لا بالدعاء ولا بالسلام وهذا لا ينفي أن هذه الرسالة خرجت عن نمط الرسائل الشرقية في بنيتها وإنما في حقيقة الأمر أن الإمام أفلح حمد الله في رسالته هذه وأثنى عليه.

3- البناء الفني:

3-1- اللغة:

تعد اللغة الوسيلة التي يعبر بها الإمام أو الأديب أو الشاعر عن تجربته من خلال تفاعل مجموعة من الألفاظ بحيث يتمكن من خلالها المبدع أن يبعث في التراكيب روحاً تعبر عن أحاسيسه وعواطفه.

¹ - الباروني، مرجع سابق، ص 92.

² - الباروني، المرجع السابق، ص 93.

وقد جاءت لغة الإمام فصيحة بليغة واتسمت بالبيان والسرور وذلك بتأثر الإمام أفصح بأسلوب القرآن الكريم وقال صلى الله عليه وسلم "إن من البيان لسحرا" وبهذا وظف الإمام الألفاظ البسيطة الواضحة البعيدة عن التعقيد والغرابة والإرشاد والوعظ مثل "أنصح، أدعوك إلى رشدك".

وتدور ألفاظ هذه الرسالة حول عدة حقول دلالية مثل الترهيب في قوله. أمرتهم فيه بخلع كل ما خالف سيرة المسلمين، وابتدع غير طريقهم، وسار بغير سيرتهم، وبغفبه وهجرة وإقصائه.⁽¹⁾

وقوله أيضا: فأنت محقوق بالبراءة ومقصي من جماعتنا. كما وظف الترغيب في قوله: ولا يهتد مهتد إلا بعونه وتوفيقه، فله المنّة علينا، ولأمانة لنا عليه.⁽²⁾

* وهو المحسن إلينا إذ هدانا لدينه، وجعلنا خلفا من بعد أسلافنا الصالحين وأئمتنا المهتدين، الذين في أتباعهم نرجو الهدى وفي مخالفتهم نخشى الهلكة.

- ولن يهتدي من خالف العدل، ولن ينجو من ابتدع غير الحق.

- ونظرا لتأثر الإمام أفصح بن عبد الوهاب بالقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف باعتبارها المصدران الهامان الذي استقى منهما مادته وموضوعاته نجد ألفاظ وتراكيب هذه الرسالة مقتبسة من القرآن الكريم مثل: ضلالة، الهدى، الصالحات، نعمة، الحق، البدعة، كفر، المهتدين، النار، كتابا منشورا، العلي، العظيم، البراءة، ديننا، طاعة، المسلم.

- أما التراكيب فقد وظف الإمام أفصح بعض التراكيب القرآنية في نصه أخذت نمطا من التفسير وقدر من الإيحاء، يحافظ الإمام أفصح توجيهها الأصلي من خلال تركيبها الدلالي لأن الأصل في إيرادهما هو إثارة الوجدان والعقل مثل قوله: حتى "حررت كتابا منشورا" فقد اقتبسها من قوله تعالى "وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا" سورة الإسراء الآية 13.⁽³⁾

¹ - محمد رمضان الجري، الأسلوب والاسلوبية، دار الهدى، عين مليلة، ص 9.

² - علي الجارم مصطفى أمين، البيان، المعاني، البديع، مكتبة الأدب، بيروت، لبنان، ط 1، 2002، ص 16.

³ - سورة الإسراء، الآية 13.

- وقد أخذ قوله: (تلك البدعة ضلالة وكل ضلالة كفر وكل كفر في النار) من قوله صلى الله عليه وسلم: "كُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٍ وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ".
- وقد جاءت جمل هذه الرسالة قصيرة وموجزة ، لأن في ذلك من شأنه الشدة في التأثير فهي أوقع من النفس من تلك الجمل الطوال وخاصة أنه في موقف نصح وإرشاد.
- مثال ذلك: الحمد لله المنعم إلينا، والمحسن إلينا، وهو المحسن إلينا وله المنة علينا ولا منة لنا عليه.⁽¹⁾

- الأسلوب:

- الأسلوب في العربية مجاز مأخوذ من معنى الطريق الممتد أو السطر المنظم من التخيل وكل طريق ممتد فهو أسلوب.
- أما مفهوم الأسلوب عند البلاغيين فهو الطرق المختلفة في استعمال اللغة استعمالاً فنياً في غرض التأثير في المشاعر الإنسانية.⁽²⁾
- وللأسلوب الخطابي صفات ومميزات تجعله يقتصر عن غيره من الأساليب العلمية والأدبية منها: التكرار، واستعمال المترادفات، وضرب الأمثال، واختيار الكلمات ذات الرنين، وتعاقب ضروب التعبير من إخبار واستفهام، واستنكار وأن تكون فيه مواطن الوقف فيه شافية للنفس⁽³⁾
- وهذا مانجده جلياً في هذه الرسالة فأسلوبها يمتاز بالجزالة والقوة واشتملت على الحيوية والتنوع، والانتقال في تراكيب العبارات واستخدام الجمل القصار وكثرة الأسجاع.

3-3 أسلوب القرآن الكريم:

- اعتمد الإمام الأسلوب الخطابي الوعظي في رسالته التي يبرز من خلالها قوة المعاني والألفاظ وقوة الحجة والبرهان لتثبيت العقيدة.
- ومن مميزات هذا الأسلوب، استعمال المترادفات واختيار الكلمة الجزلة ذات الرنين وتعاقب ضروب التعبير من إخبار واستفهام، وهذا مانجده في الرسالة فقد مزج الإمام بين الصيغ الإنشائية الطلبية وغير الطلبية فنجد الصيغ الإنشائية الطلبية منها:

¹ - أحمد المراعي ، علوم البلاغة، البيان، الماضي، البديع، دار الآفاق العربية ، القاهرة، ط1 ، 2000، ص96.

² - عيسى بالطاهر، البلاغة العربية، دار الكتاب الجديدة، ط1، بيروت، لبنان، 2008، ص79.

³ - سميح أبو مغلي، المفيد في البلاغة العربية، دار البداية عمان، ط1، ص44.

3-4 الاستفهام:

هو طلب العلم بشيء، أي طلب الفهم والاستخبار عن الشيء الذي لم يتقدم لك علم به وأدواته إحدى عشرة أداة أشهرها "الهمزة" و"هل" (1) ونجد هذا الأسلوب في رسالة أفصح بن عبد الوهاب إذ يقول:

- أترى أني أوازر من ابتدع في ديننا؟
 - وقوله أيضا: فعلام تتجاهل في الأمور؟
 - غرضه البلاغي: هو الاستعلام بالشيء (2)

3-5- الأمر:

هو طلب حصول الفعل من المخاطب وإن كان الأمر حقيقيا فإنه يكون على سبيل الإستعلاء والإلزام، أما إذا تخلف كلاهما أو أحدهما فإن الأمر يخرج عن معناه الحقيقي ويكون أمرا بلاغيا.

- لجأ الإمام لتوظيف الأمر من أجل ردع نفاث وإرشاده إلى الطريق القويم ونجده يستخدم الأمر في أكثر من موضع.

- كن من جماعتنا.

- فاطهر الإنتقاد من ذلك.

- وكذب عن نفسك ما قيل عنك وتب مما كتبت به.

- فانف عن نفسك ما رقيبه.

غرضه: النصيح والإرشاد.

- استعمل الإمام الإيجاز في رسالته ليحقق الهدف بأقل العبارات وأسهلها وهو الإستمالة والإقناع، وهذا ما يدل على بلاغته وقدرته على إعطاء الألفاظ للمعاني.

- قصر الفقرات وتوازنها إذ جاءت جمل هذه الرسالة متوازنة تتساوى عدد كلماتها أو تتماثل أوزان نهاياتها، وهذا ما تقتضيه الرسالة.

¹ - يوسف أبو العدوس، مدخل البلاغة العربية، علم المعاني، علم البيان، علم البيوع، دار المسيرة، عمان، 2007، ص86.

² - أحمد المراعي، علوم البلاغة، البيان، البديع، دار الآفاق العربية، القاهرة، 2000، ص92.

3-6- الأساليب الإنشائية غير الطلبية:

1- التعجب:

- وهو تفضيل شخص من الأشخاص أو غيره على أضرابه في وصف من الأوصاف. والتعجب يأتي قياسيا بصفة "ما أفعل" و"أفعله"⁽¹⁾
- وقد وظف التعجب في قوله كلا ! ما كتبت بالذي يفعل ذلك.
- غرضه الإنكار:

2- القسم:

- ويكون بأحرف ثلاثة تجر ما بعدها وهي " الباء، و"الواو"، و"التاء"، كما يكون بالفعل "أقسم" أو مافي معناه مثل: "أحلف"
- كما وظف القسم في قوله: والله المتسعان.
- غرضه: الدعاء⁽²⁾

3-7- المستوى البلاغي:

- الصورة البيانية.

- الإستعارة:

- أن تريد تشبيه الشيء بالشيء، فتدع أن تفصح بالتشبه وتظهره وتجيء إلى إسم المشبه به فتغير المشبه وتجريه عليه.
- الإستعارة قسمان:

3-8- تصريرية:

- وهي ما صرح فيها بلفظ المشبه به.

3-9- مكنية:

- وهي محذوف فيها المشبه به، ورمز له بشيء من لوازمه للدلالة على المحذوف.

¹ - عبد العزيز عتيق، علم المعاني، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط1، ، 2009، ص81.

² - عبد القادر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، المكتبة العصرية، بيروت 2002، ص 113.

أما إذا أردنا الحديث على هذا النوع من الصور البلاغية وتجليها في نص الرسالة نجدها من خلال قوله:

- أئمتنا المهتدين، الذين في أتباعهم نرجو الهدى.

حيث شبه الأئمة بنور يستضاء به فحذف المشبه به (النور) وترك أحد لوازمه وهي (نرجو الهدى) على سبيل الإستعارة المكنية.

- ونجد في قوله أيضا: "ولن يهتد من خالق الهدى" حيث شبه العدل بإنسان فحذف المشبه به "الإنسان" وترك لازمة من لوازمه "خالف" على سبيل الإستعارة المكنية.⁽¹⁾

- فبحكم بلاغة وفصاحة الإمام عبد الوهاب انعكس هذا الأمر في رسالته ذلك أن بلاغة الإستعارة تتجلى في تجسيد ما هو معنوي في شيء مادي محسوس .

- بلاغتها: التشخيص.

- كما نجدها في موضع آخر: أمرتهم فيها بخلع كل من خالف سيرة المسلمين

حيث شبه العمال (باللباس) فحذف المشبه به (اللباس) وترك قرينة تدل عليه وهي (خلع) على سبيل الإستعارة المكنية.

وسر جمالها: تجسيد ما هو معنوي في شيء مادي محسوس.

- وظف الإستعارة في قوله: إن أمرنا في كتابنا من البراءة منك.

فقد شبه الأمر الذي تضمنه كتابه (بإنسان) يتبرأ من إنسان آخر فحذف المشبه به (الإنسان) وترك لازمة تدل عليه وهي (البراءة) على سبيل الإستعارة المكنية.

غرضها: تتجلى في وضوح، ودقة المعنى، وتقريب الصورة إلى الذهن مع إفادة التشخيص

- استعان الإمام بتوظيف الإستعارة في قوله: تب لما كتبت به فقد شبه الرسالة بالذنب، فحذف المشبه به (الذنب) وترك لازمة من لوازمه وهي (تب) على سبيل الإستعارة المكنية

غرضها: تجسيد ما هو معنوي في شيء مادي محسوس.

¹ - احمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان، والبديع، المكتبة العصرية ، بيروت ، 2003، ص 303.

3-10- الكناية:

لفظ أطلق وأريد به معناه مع جواز إرادة ذلك المعنى، أي أن يتكلم عن شيء والمراد وتنقسم الكناية باعتبار المكنى إلى ثلاثة أقسام: الكناية عنموصوف، عن الصفة، عن نسبة.

وقد تتجلى الكناية في رسالة الإمام عبد الوهاب في قوله: فننزلك من أنفسنا بحيث تحب، كناية عن صفة الرضى والقبول.⁽¹⁾ وأثرها في الرسالة: تركيب رائع نشط وأعطى حقيقة مصحوبة بدليلها.

3-11- التشبيه:

بيان أن شيئاً أو أشياء شاركت في صفة أو أكثر بأداة هي الكاف أو نحوها ملفوظة أو ملحوظة وأركانها أربعة هي: المشبه، المشبه به، ويسميان طرفي التشبيه، وأداة التشبيه، ووجه الشبه، ويجب أن يكون أقوى أظهر في المشبه به منه في المشبه. - وقد توفرت الرسالة على التشبيهات منها:

3-12- التشبيه البليغ:

ويتجلى ذلك في قوله: البدعة ضلالة، وكل ضلالة كفر، وقوله أيضاً: عمالنا أساقفة.

- غرضه البلاغي: جعل المشبه والمشبه به في رتبة واحدة.
- بالإضافة إلى تشبيه آخر فكتبت إلي كتاباً كأنك تسخط ذلك.
فالمشبه هو نفث بن نصر (التاء في كتبت) والمشبه به (أفلح بن عبد الوهاب)، والأداة (كأن) ووجه الشبه (السخط وعدم الرضا)

3-13- المحسنات البديعية:⁽²⁾

ومن الظواهر اللغوية التي شاع استخدامها في أدب العصر الرستمي المحسنات البديعية شأنهم شأن سابقهم وغيرهم من الأدباء، ولكن ما جاء من أعمالهم من محسنات بديعية جاء عفو الخاطر لا دون تعمد أو تكلف، وذلك أن أدب هذا العصر ذاعت في

¹ - زين كامل خويسكي، أحمد محمد المصري، فنون بلاغية، دار الوفاء، الإسكندرية، ط1، 2006، ص 171.

² - ابن الصغير، أخبار الأئمة الرستمين، مرجع سابق، ص 81.

رسالته النزعة الدينية فقد يتجلى الأثر الإسلامي في رسالتهم كثيرا ، غير أن المحسنات البديعية لفظية كانت أم معنوية لها الأثر في نفس المتلقي فترفع من مكانة الإمام وتزيد قيمة الرسالة الفنية والجمالية.

3-14- الطباق:

هو الجمع بين الشيء وضده في الكلام ، وهو نوعان:

أ- طباق الإيجاب : وهو ما لم يختلف فيه الضدان إيجابا وسلبا.

ب- طباق السلب: وهو ما اختلف فيه الضدان إيجابا وسلبا.⁽¹⁾

وقد وظف الإمام الطباق في قوله:

طباق السلب:

- (لا يهتد ≠ مهتد).

- (المنة ≠ لامنة).

- (سار ≠ غير سيرتم).

طباق الإيجاب:

- (إليك ≠ إلينا).

- (مقضي ≠ محقوق).

- (خلف ≠ سلف).

- أثره البلاغي: بالأضداد تتضح المعاني وتتجلى ، ويقوي المعنى ويعطي لمسة من البديع على النص.

3-15- المقابلة:

هو أن يؤتبمعنيين متوافقين أو أكثر ، ثم يؤتى بما يقابل ذلك على الترتيب.

- لجأ الإمام إلى توظيف المقابلة لتقريب الصورة إلى ذهن المتلقي وفهمها أكثر ويتجلى

الأسلوب التقابلي بين الكلمات والعبارات وقد ورد التقابل في:⁽²⁾

- فله المنة علينا ولأمانة لنا عليه..

¹ - عبدالعزيز الجرجاني، الوساطة بين المتنبي وخصومه ، تح محمد أبو الفضل، 1922م، ص23.

² - عبد القادر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، المكتبة العصرية بيروت، 2002، ص 113.

ونجدها أيضا: في إتباعهم نرجو الهدى وفي مخالفتهم نخشى الهلكة.
غرضها البلاغي: توضيح مدى التناقض بين هاتين الصفتين.

3-16- الجناس:

– أن تتفق اللفظتان في وجه من الوجوه، ويختلف معناها، ويشترط في الجناس أن تكون اللفظتان من باب الحقيقة، وألا تكون إحداها حقيقة والأخرى مجازا⁽¹⁾
كما ورد في قوله:

- دين، دنيا ← جناس ناقص.
- كاتب، كتابا ← جناس ناقص.
- سار، سيرتهم ← جناس ناقص.
- كتبنا، كتابنا ← جناس ناقص.
- تكتب، كتابا ← جناس ناقص.

* غرضها البلاغي: تضيي على النص نغما موسيقيا تطرب له الأذن وترتاح له النفس.

3-17- السجع:

هو اتفاق الفاصلتين أو الفواصل في الحرف الأخير أو أكثر من حرف، وقد يكون هذا الاتفاق في الحروف، أو في الأوزان، أو فيها معا ويقع في الشعر كما يقع في النثر، لكنه في النثر أكثر منه في الشعر،⁽²⁾ ومن الأنصاف القول بأن النثر أولى من الشعر لذا سعى الإمام أفلح إلى توظيف السجع في رسالته من خلال قوله⁽³⁾

- المنعم علينا، والمحسن إلينا.
- كذلك قوله: الصالحين، المهتدين.
- نفيه، هجره.
- تحبيب، ونجيب.
- غرضه البلاغي: تضيي على النص نغما موسيقيا تطرب له الأذن وترتاح له النفس.

¹ – أبو عثمان الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، تج، عبد السلام هارون ، القاهرة، ط1، 1960 ، ص43.

² – المرجع نفسه، ص 44.

³ – أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، المكتبة العصرية، بيروت ، 2003 ، ص 303

ب- تحليل الرسالة الثانية.

1- نص الرسالة (2):

رسالة الإمام أفلح إلى المسلمين في حق نفاث.

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم:
من أفلح بن عبد الوهاب إلى... (بياض في الأصل).

أما بعد ألبسنا الله وإياك مهمات الأمور برحمته كتبت إليك وأنا ومن قلبي من خاصتي ورعية عامة على أحسن حال جرت به عادة الله وتواترت به علماؤه فله الحمد كثيرا والشكر دائما أتاني كتابك بالذي أحب علمه من سلامتك وحسن حالك وتواتر نعم الله عليك وإحسانه إليك وإلى من قبلك من الرعية وأهل الطاعة فصرني بذلك وحمدة الله كثيرا عليه وسألته تماما النعم علينا وعلكم برحمته إنه مجيب وذكره أمر نفاث وأكثرتم فيه الكتل ووصفتهم عنه أشياء لاشك أحد منكم في أنحاء بدعة وخلاف كان.... عليه سلفكم، فإن يك ذلك كما وصفنا فما ينبغي لأحد منكم أن يخالجه الشك في أن ذلك خلال لان الهدى في أيديكم والحق مشاعر له سلفكم الصالح والأئمة المرصنيون رضي الله عنهم فمن اتا من بعدهم يخالف شريعتهم ويأخذ في غير طريقهم فهو ذو بدعة وكل بدعة ضلال عذر وكل كفر في النار.⁽¹⁾

2- البناء الفكري:

2-1- مضمون الرسالة ونوعها:

استهل الإمام أفلح رسالته التي بعث بها إلى المسلمين في حقنفاث بالبسملة والثناء على الرسول الله صلى الله عليه وسلم، وتصنف هذه الرسالة ضمن الرسائل الدينية.
أما محتوى الرسالة فهو الوعظ والنصح والإرشاد والإنقياد إلى أوامر الله تعالى واجتناب نواهيه فهو ترغيب وترهيب وتهديد، فإن خالف ما نصت عليه الرسالة كان مصيره الهجر والإبعاد والإقصاء والخلع والبراءة منه، وبعد تلقي نفاث لهذه الرسالة وفهم فحواها، عرف أن الأرض قد ضاقت به فراسل نفاث الإمام أفلح يستفهم فيه عن موجب

¹ - مرجع سابق، ص 199.

الأمر بالبراءة منه، فرد عليه الإمام أفلح برسالة لابسملة فيها ولا سلام إشارة عنه من البراءة منه وعدم الرضا عنه.

3- البناء الفني:

3-1- اللغة:

لقد اعتمد الأديب في رسالته على معجم لغوي مشحون بجملة من الألفاظ الرمزية التي تحمل دلالات كما استعمل ألفاظ رشيقة سهلة وواضحة بعيدا عن الغموض والتعقيد فنجد لغته فصيحة بليغة و فنية تكمن في تلك الأساليب الواضحة كما وظف جملة من المعاجم والحقول الدلالية حقل الترغيب والترهيب فحقل الترغيب يكمن في قوله: ⁽¹⁾

-الترغيب: ويظهر جليا في قوله: وذكرتم أمر نفاث وأكثرتم فيه الكتب ووصفتهم عنه أشياء لا يشك أحدكم في أنها بدعة .

- وخلاف لما مضى من سلفكم .

- فإن يك ذلك كما وصفته فيما ينبغي لأحد منكم أن يخاطبه الشك في أن ذلك ضلال ،لأن الهدى في أيديكم والحق ما شرعه لكم سلفكم.

- الترهيب: وقد وظف الإمام أفلح أسلوب الترهيب في قوله: فمن ابتدع في دين الله وشق عصا الإسلام وقال بخلاف الحق، فإنه محقوق بأن يهجر ويقصى ويبعد.إظهار الإمام أفلح النفي والإبعاد والتبريء منه إن لم يرجع بعد استنابته، كما نجد الإمام أفلح في رسالته استخدم ألفاظ تحمل دلالات النصيح والإرشاد

فيقوله: فعليك بتقوى الله والعمل بطاعته وحسن النظر لنفسك، فإنها إن سلمت فقد نجوت وفزت فوزا عظيما

من خلال هذه الرسالة نجد أن الأديب مشبع بالثقافة الإسلامية فقد استقى مادته من اقتباسه من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف في قوله.

القرآن الكريم: نجد أن ألفاظ وتراكيب هذه الرسالة مقتبسة القرآن الكريم، وهذا ما يبين مدى تأثير الإمام أفلح بهذا المعين من خلال حضور القرآن بألفاظه ومعانيته في تعابير الأدباء

¹ - الجرجاني عبد العزيز، الوساطة بين المتنبي وخصومه، مرجع سابق، ص23.

وأساليب موضوعاتهم، عبر مجموعة من المستويات كشفت عن مدى التفاعل بهذا الكتاب العزيز وشكلت مرجعية أساسية لعلماء الفكر الإباضي.

- الحديث النبوي الشريف: وظف الإمام أفلح تراكيب وألفاظ مقتبسة من الحديث النبوي الشريف ليحدث في نصه نمطا من التغيير وقدرًا من الإيحاء فقد أخذ قوله: (كل بدعة ضلالة وكل ضلالة كفر وكل كفر في النار) من قوله صلى الله عليه وسلم، كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

3-2- الأسلوب:

الأسلوب يحمل معنى الطريق، فإذا قلنا سلكت أسلوب شخص ما إذا اتبعت طريقته كما أن له معنى طريقة الأديب في كتابه، عن طريق اختياره لألفاظ محددة للتعبير بها عن معاني مختلفة، فكل أسلوبه الخاص يؤثر به في الملتقى ويترك فيه بصمات ذاته وجاء في أساس البلاغة سلكت أسلوب فلان: طريقته وكلامه على أساليب ... ويقال للمتكبر: أنفه في أسلوب إذا لم يلتفت يمينه ولا يسره .

- وهذا ما نجده جليا في هذه الرسالة فأسلوبها يمتاز بالجزالة والقوة وسهولة الألفاظ واختيار الكلمات الجزلة ذات الرنين فالأديب مزج بين الأساليب الإنشائية والخبرية فنجد الصيغ الإنشائية الطلبية منها:

3-3- الأمر:

استعمل الإمام أفلح صيغة الأمر في أكثر من موضع في قوله: فليسمع وليطع، ولينتبه، فليرفع

أسلوب طلبي بصيغة الأمر (اللام مقترنة بفعل مضارع).
غرضه البلاغي: النصيح والإرشاد.

3-4- أما الأساليب الخبرية:

فتتمثل في قوله:

- ألبسنا الله وإياك عافيته وكفانا وإياك مهمات الأمور .
- كتبت إليك وأنا من قبل من خاصتي والرعية عامة على أحسن حال .
- أتاني كتابك بالذي أحب علمه من سلامتك وحسن حالك .

3-5- المستوى البلاغي:

- الصور البيانية:

الإستعارة المكنية:

في قوله: ألبسنا الله وإياك عافيته حيث شبه العافية (بالثوب) فحذف الثوب وترك قرينة من قرائنه وهي (ألبسنا) على سبيل الإستعارة المكنية.
- وقوله أيضا: الهدى في أيديكم شبه الهدى بشيء يمسك باليد فحذف الشيء وترك لازمة من لوازمه (في أيديكم) على سبيل الإستعارة المكنية أثرها البلاغي: تجسيد ما هو معنوي في شيء مادي محسوس.

- الكناية:

تجلت الكناية في رسالة الإمام أفلح في قوله: ضاقت به الأرض.

- كناية: عن صفة اختلاط الأمر وعدم إيجاد حلول.

- وقوله أيضا: أكثرتم في الكتب.

كناية عن صفة عدم الرضا عن ما صدر من نفاث من تصرفات.

- أثرها البلاغي:

تركيب رائع نشط، وأعطى حقيقة مصحوبة بدليلها.

المحسنات البديعية:

- الطباق:

وقد وظف الإمام في قوله

- (ضلال، الهدى).

- (خلافهم، موافقتهم).

- الجناس:

ويتجلى ذلك في قوله:

- (يظلم، يعلم).

- أثرها البلاغي:

- يضيف على النصنغما موسيقيا تطرب له الأذن وترتاح له النفس.

ج- النتائج المستخلصة من الرسالتين:

نستخلص من تحليلنا لكلتا الرسالتين أن الإمام أفلح موضعا للوعظ الناصح لنفاث بالرغم من طغيان هذا الأخير وغيه وإصراره إلا أن الإمام أفلح ما زال بصدر رحب مصرا على نصحه مشافهة وتحريرا، ملتصقا منه العودة إلى الجادة الصواب وقرراً أفلح أن من ابتدع في دين الله، وخالف تعاليم الإسلام فإنه محقوق بأن يهجر ويقصى ويبعد ويخلع ويتبرأ منه.

وصفة القول من خلال دراستنا لهذه النماذج أن التأثير الإباضي في النثر الرستمي تتجلى ملامحه واضحة المعالم في هذه الرسائل وأهم هذه المعالم نذكر:

- ولاية المصلح والبراءة من العاصي والوقوف عند ضرورة واجب ويتجلى ذلك في قوله: "ثم قلت إن أمرنا في كتابنا بالبراءة منك" وقوله: "ولما بلغ نفاثا خبر هذه المكاتبات في حقه وأمر الإمام عماله بتحقيق ما شهر عنه وإثباته ثم إظهار البراءة منه".

د- الخصائص العامة لرسائل الإمام أفلح:

لرسائل الإمام أفلح سمات وخصائص فنية تتماشى والعصر الرستمي كون أن رسائله في هذا العصر وصلت إلى أوج تطورها منها نذكر:

1- الإبتداء بالبسملة والحمد لله وتحلية ذلك بالآيات القرآنية والإقتباس من الأسلوب القرآني ما يكسبها عذوبة وجمالا وكانت معظمها تختتم بالدعاء.

2- وحدة الموضوع.

3- اعتماد الإمام أفلح الأساليب الإنشائية المتمثلة في الاستفهام، والتعجب وهذا راجع لكون أن هذه الأساليب مناسبة لموضوع الرسالة.

4- فصاحة الألفاظ وسهولة التعبير.

5- البعد عن التكلف، واعتماده على الأسلوب البسيط بلغة غير متكلفة.

6- الترواح بين الإيجاز والإسهاب.

7- توظيف ألوان البيان من تشبيه و كناية واستعار وغيرها.

8- إصابة الهدف بدون خروج فلا زخرف لفظي ولا إطناب ممل.

9- كانت معظم رسائل الإمام أفلح تدور حول موضوع النصيح والإرشاد.

- 10- كانت معظم رسائله ذو صبغة دينية سياسية وهذا راجع إلى أن هذا النوع من الرسائل عرفت انتشارا واسعا خاصة في العصر الرستمي.
- 11- طغيان النزعة الدينية على النزعة الأدبية حيث يغيب التخييل ويحضر الخطاب الديني.
- 12- نلاحظ أن رسائل أفلح كانت ذات ألفاظ منتجية ومقابلات دقيقة، ونلاحظ أن الإمام أفلح فصيح اللسان والقلم حيث أنه لم يستغنى عن توظيف الآيات القرآنية.

خاتمة

خاتمة:

نحمد البارئ سبحانه وتعالى الذي وفقنا لما قدمناه، فنضع قطراتنا الأخيرة بعد المشوار الذي خضناه بين تفكرو وتعقل في هذا الموضوع الموسوم بالعنوان الآتي: "التأثير الإباضي في النثر الرستمي" لتقديم ما قدمناه، فكانت رحلة ممتعة وجاهدة للإرتقاء بدرجات الفكر والعقل بتقديم هذا الجهد المتواضع الذي لا نستطيع أن ندعي فيه الكمال.

ومما سبق توصلنا في هذا البحث إلى جملة من النتائج ويمكن أن نوجزها فيما يلي:

- 1- يعد المذهب الإباضي من أقدم المذاهب الإسلامية نشأة، فترجع أصوله إلى مسألة الخلاف بين الصحابة والتي انتهت إلى معركة صفين والتي ترتب عنها ما يعرف في التاريخ بحادثة التحكيم.
- 2- أجمعت بعض المصادر والمقالات الإباضية، أن نسبة تسمية "الإباضية" أو ما يعرف بالمذهب الإباضي تعود إلى عبد الله بن إياض بن ثعلبة التميمي.
- 3- يرى بعض أئمة السلف في جهودهم واجتهاداتهم في الحكم على معتقدات الإباضية أن المذهب الإباضي كغيره من المذاهب الإسلامية، لا يوجد اختلاف بينه وبينها وهو أقرب المذاهب إلى السنة.
- 4- الخلافة عند الإباضيين تسمى الإمامة وهي أربعة أنواع و تعرف عندهم بمسالك الدين وهي: إمامة الظهور، والدفاع، والشراء، والكتمان.
- 5- ينطوي المذهب على عدة فرق وينضوي تحت لواء أئمة ومن أهم الفرق وأئمتها:
 - ابن فندين رأس - الفرقة النكارية.
 - فرج بن نصر النفوسي رأس - الفرقة النفائية.
 - خلف بن السمح رأس - الفرقة الخلفية.
 - أحمد بن حسين الطرابلسي رأس - الفرقة الحسينية.
 - عبد الله بن السكاك رأس - الفرقة السكاكية.
 - أبو سليمان بن سليمان بن أفلح رأس - الفرقة الفرثية.

- 6- يعود نسب الرستميين إلى عبد الرحمن بن رستم التي أجمعت المصادر على أنه فارسي الأصل.
- 7- تعود النشأة الفعلية للدولة الرستمية إلى مبايعة الإباضيين الموجودون في المغرب الأوسط لعبد الرحمن بن رستم ليكون أمير عليهم، فاتخذوا تيهرت عاصمة لهم.
- 8- تعد مدينة تيهرت حصن المغرب لتاريخها وأدبها وما احتوت عليه من وقائع وأحداث ذهبية للدولة الإسلامية.
- 9- اهتم أئمة الدولة الرستمية وعلمائها بالعلم و قضايا الفكر والثقافة وجمع الكتب واستجلادها من كل مكان حتى من أقصى الشرق نذكر منهم: عبد الرحمن بن رستم، عبد الوهاب بن عبد الرحمن ، أفلح بن عبد الوهاب وغيرهم.
- 10- تعتبر الدولة الرستمية أول دولة حققت استقلالها في العهد الإسلامي بالمغرب الأوسط وسجلت قيام حكم إباضي منفصل نهائيا في المجال السياسي والإداري عن الحكم المركزي الإسلامي.
- 11- لم تعرف الدولة الرستمية حدود ثابتة ومستقرة ومعينة وظاهرة المعالم خلال تاريخها العريق والطويل
- 12- يعد النثر الفني معلما بارزا في الأدب الرستمي حيث سادت فيه فنون الخطابة والترسل أكثر من غيرها.
- 13- كانت رسائلهم بسيطة سهلة لا تصنع فيها ولا تكلف
- 14- كان أغلب كتابهم من البيت الرستمي يأتي على رأسهم الإمامين عبد الوهاب وابنه أفلح، حيث تغلب الألفاظ الدينية و الفقهية على رسائلهم
- 15- لم تخرج الرسائل الرستمية عن الهيكل البنائي المعروف لفن الترسل في الأدب العربي فقد استوت على مقدمة ومضمون وخاتمة.
- 16- لرسائل الإمام أفلح سمات وخصائص فنية تتماشى والعصر الرستمي، وهذا راجع إلى أنها مناسبة لموضوع الرسالة وأن الموقف يتطلب ذلك.

- 17- تتميز رسائل الإمام أفلح بألفاظ منتقاة ومقابلات دقيقة.
- 18- اعتماده على الإقتباس من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف.
- 19- البعد عن التكلف، واعتماده على الأسلوب البسيط.
- 20- توظيف ألوان البيان من تشبيه وكناية واستعارة وغيرها دون إغراق.
- 21- يتميز أسلوب الإمام أفلح بأسلوب متناوب بين الإنشاء والإخبار.
- 22- اتسمت لغة الإمام أفلح بالفصاحة والبلاغة والبيان والسحر، وذلك لتأثر الإمام أفلح بأسلوب القرآن الكريم لقول صلى الله عليه وسلم "إن من البيان لسحرا"
- 23- توظيف الألفاظ البسيطة الواضحة البعيدة عن التعقيد والغرابة، كالنصح والإرشاد مثل: أنصح، أدعوك إلى رشدك.
- 24- من بين الحقول الدلالية التي وظفها الإمام أفلح في رسائله نجد حقل الترغيب والترهيب كون أنه في مقام الناصح الواعظ.
- 25- طغيان النزعة الدينية على النزعة الأدبية حيث يغيب التخييل ويحضر الخطاب الديني.
- 26- يمتاز أسلوب هاتين الرسالتين بالجزالة والقوة والحيوية والنشاط فنجد الإمام أفلح، استخدم في رسالته الأسلوب الخطابي الوعظي ليبرر من خلالها قوة المعاني ولألفاظ وقوة الحجة والبرهان في تثبيت العقيدة.
- 27- توظيف الإمام أفلح للأساليب الإنشائية الطلبية كالأمر في قوله: فاتق عن نفسك ما رقي به وذلك لردع نفاث وإرشاده إلى الطريق القويم.
- 28- توظيف المحسنات البديعية بصورة عفوية استخدمها كلما استدعى المعنى ذلك دون تكلف ولا تصنع.
- 29- اللغة سهلة لأن المقصود من توظيفها بهذا الشكل هو الإفهام وليس الإبهام اللغوي والإعجاز.
- 30- كل هذه الأساليب جاءت لخدمة المذهب الإباضي من خلال نصوص الرسالة الأفلحية.

هذه أهم النتائج التي توصلنا إليها، والتي كانت ثمرة هذا البحث ونأمل أن نكون قد حققنا الأهداف المتوخاة وقد وفقنا في كشف خبايا ومكونات هذا الموضوع، استطعنا أن نميط اللثام عن جوانبه الفكرية والفنية التي لا يزال بعضها في حاجة إلى المزيد من الدراسة والبحث والتقصي.

وفي الأخير نتمنى أن يكون هذا البحث قدم إضافة إلى سلسلة الدراسات العربية التي تعتني بالتراث العربي الجزائري القديم.



قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم: برواية ورش

الحديث النبوي الشريف (صحيح مسلم)

1. إبراهيم بكير بحاز، الدولة الرستمية (160-296هـ/777-909م)، دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية، تنشر جمعية التراث غرداية، الجزائر، ط2، 1114هـ-1993.
2. ابن أبي صبيعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، شرح وتحقيق نزار رضا، مكتبة دار الحياة بيروت لبنان، 1965.
3. ابن الصغير، أخبار الأئمة الرستميين، تح، محمد ناصر إبراهيم بحاز، دار المغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1986.
4. ابن تاويت محمد الطنجي ومحمد الصادق عفيفي: الأدب المغربي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط2، سنة 1969
5. ابن حجر العسقلاني، استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب ما جاء في المتأولين، مكتبة خياط، بيروت، لبنان، 1906م.
6. ابن حزم أبو محمد علي بن سعيد، الفصل في الملل والأهواء، مكتبة المثنى بغداد، 1377هـ.
7. -ابن حزم الأندلسي، جمهرة أنساب العرب، تح عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، 1926.
8. ابن حوقل، سورة الارض، مطبعة بريل، ليدن، ط2، 1938.
9. ابن خلدون، العبر، داراللبناني للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2002.
10. أبو داود، سنن، دار الحديث، القاهرة مصر، 1408هـ، 1988
11. أبو زكرياء يحيى أبو بكر، سير الأئمة وأخبارهم، تحقيق إسماعيل العربي، المكتبة الوطنية، الجزائر، 1979.
12. أبو الربيع سليمان الباروني، مختصر تاريخ الإباضية، مكتبة وهبة القاهرة، ط1، 1990.

13. أبو العباس أحمد بن علي المقرئ، الواعظ الاعتبار بذكر الخطط والآثار، مطبعة دار حامد ، بيروت، 2000.
14. أبو عثمان الجاحظ، البيان والتبيين، تج، عبد السلام هارون ، القاهرة، ط1، 1960.
15. أحمد المراعي، علوم البلاغة، البيان، البديع، دار الآفاق العربية ، القاهرة، ط1، 2000.
16. أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان، والبديع، المكتبة العصرية ، بيروت ، 2003.
17. أحمد أمين ، فجر الإسلام ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1994.
18. أحمد شلبي، موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، ط2، مكتبة النهضة، مصر، القاهرة، ط2، 1984.
19. الإدريسي: وصف إفريقيا الشمالية والصحروية مأخذ من كتاب نزهة المشاق في اختراق الآفاق، صححه ونشره هنري بريس، الجزائر 1376-1957.
20. أديب اللحي وأخرون، المحيط معجم اللغة العربية، تقديم محي الدين صابر ، المكتبة الوطنية ، عمان، 2002.
21. أديب اللحي وأخرون، المحيط معجم اللغة العربية، تقديم محي الدين صابر ، المكتبة الوطنية ، عمان، 2002.
22. إسحاق بنوهب، البرهان في وجود البيان، مكتبة الشباب، 2005.
23. الإصطخري، المسالك والممالك، تح محمد جابر عبد العال الحسين، دار القلم القاهرة مصر، 1381هـ - 1963هـ.
24. أعوش بكير سعيد، دراسات إسلامية في الأصول الإباضية ، قسنطينة ، الجزائر، ط1، 1402هـ-1982.
25. إميل ناصيف، أروع ما قيل الخطب، دار الجيل ، بيروت، ط1، 1995.
26. البغدادي، الفرق بين الفرق، دار الآفاق الجديدة بيروت، ط3، 1978.
27. البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، وهو جزء مأخوذ من كتب المسالك والممالك، مكتبة المثنى ببغداد، العراق، ط1، 1857.
28. البلاذري، فتوح البلدان، تعليق محمود رعونان، مطبعة السعادة، القاهرة، مصر، 1959.

29. الحافظ ابن كثير، البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، ط3، 1981م.
30. حسن إبراهيم حسن ، تاريخ الإسلام السياسي، القاهرة، مصر، ط4، 1970.
31. الدرجيني، طبقات المشائخ بالمغرب ، تح إبراهيم طلاي، مطبعة البعث، قسنطينة، 1394-1974.
32. رشيد بورويبة، الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1977.
33. زغلول سعد عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي، ليبيا، تونس، الجزائر، المغرب، دار المعارف القاهرة مصر 1384هـ-1964م.
34. زيدان جرجي، تاريخ المدن الإسلامي، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت لبنان، ط1، دت.
35. زين كامل خويسكي، أحمد محمد المصري، فنون بلاغية ، دار الوفاء، الإسكندرية، ط1، 2006.
36. سالم بن حميد الحارثي، العقود الفضية في أصول الإباضية، طبعة دار اليقظة العربية في سوريا ولبنان، 2001.
37. سالم بن محمود السمائي، الحقيقة والمجاز في تاريخ الإباضية في اليمن والحجاز، وزارة التراث القومي للنشر، سلطنة عمان، طبع سجل العرب بالقاهرة، 1400هـ، 1980م.
38. سليمان الباروني، الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية، مطبعة الأزهار البارونية، تونس، ط1، 1969.
39. سليمان الباروني، مختصر تاريخ الإباضية، ط2، تونس، 1938.
40. سميح أبو مغلي، المفيد في البلاغة العربية، دار البداية عمان، ط1، 2000.
41. الشماخي: السير، حجرية قسنطينة ، الجزائر، 1301هـ.
42. الشهرستاني، الملل والنحل، تح محمد سيد كيلاني، ج1، أوفست، دار المعرفة بيروت، 1400هـ - 1980 هـ.
43. عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1384هـ -1965م.

44. عبد الرحمن الجليلي، تاريخ الجزائر العام، منشورات دار مكتبة الحياة بيروت لبنان، ط2، 1384هـ-1965.
45. عبد الرحمن، عبد الحميد، علي، تاريخ الأدب في العصر الجاهلي، دار الكتاب الحديث، القاهرة، 2008.
46. عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب الكبير، العصر الإسلامي، دراسة تاريخية وأثرية عمرانية، دار النهضة العربية، بيروت لبنان، 1981.
47. عبد العزيز عتيق، علم المعاني، دار النهضة العربية، بيروت ، لبنان، ط1، 2009.
48. عبد القادر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، المكتبة العصرية ، بيروت 2002.
49. عبد القادر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، المكتبة العصرية بيروت، 2002.
50. عبد القاهر البغدادي، الفرق بين الفرق، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط3، 1978.
51. عبد المالك مرتاض، الأدب الجزائري القديم (دراسة في الجذور)، دار هومة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2005.
52. عبدالعزیز الجرجاني، الوساطة بين المتنبي وخصومه ، تح محمدأبو الفضل، 1922.
53. عثمان سعدي، الجزائر في التاريخ، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2011.
54. علي الجارم مصطفى أمين، البيان، المعاني، البديع، مكتبة الأدب، بيروت، لبنان، ط1، 2002.
55. علي يحي معمر ، الإباضية بين الفرق الإسلامية، المطبعة الإسلامية العربية، غرداية ، الجزائر، 1987.
56. علي يحي معمر، الإباضية في موكب التاريخ ، مطابع دار الكتاب العربي، مكتبة وهبة القاهرة مصر، 1384-1964.
57. عمرعروة، النثر الفني القديم أبرز فنونه وأعلام، دار القصة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012.

58. مبارك محمد الملي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، دار الحياة، بيروت، لبنان، 1982.
59. المبرد أبو العباس محمد بن يزيد، الكامل في اللغة (باب الخوارج)، دارالحكمة، دمشق، ط2 ، 1972.
60. محمد إسماعيل عبد الرزاق، الإباضية في بلاد المغرب، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1. 1986.
61. محمد الطمار، تاريخ الأدب الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط2، 2010.
62. محمد الطمار، تاريخ الأدب الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط2، 2010.
63. محمد بن رمضان شاوش، الدر الوقاد ، طبع بالمطبعة العلوية مستغانم، الجزائر، ط1، 1385-1966.
64. محمد علي دبوز، تاريخ المغرب الكبير، طبع بدار إحياء الكتب العربية، ط1، 1383هـ-1963هـ.
65. مرمول محمد الصالح، السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية في بلاد المغرب الإسلامي، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1983.
66. المسعودي أخبار الزمان ، دار الأندلس، بيروت، ط2 ، 1922.
67. المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مكتبة صيدا، بيروت ، لبنان، ط2، 1406-1988م.
68. اليعقوبي، البلدان، مطبعة بريل، ليدن، ط1986، 1.
69. يوسف أبو العدوس، مدخل البلاغة العربية، علم المعاني، علم البيان، علم البيع، دار المسيرة، عمان، 2007.
70. يوسف سعيد بن بكير، تاريخ بني ميزاب ونضالهم من أجل الحق في التباين، دراسة اجتماعية واقتصادية وسياسية، الطبعة العربية، غرداية، الجزائر، 1992.

المعاجم:

1. أديب اللجمي وآخرون، المحيط معجم اللغة العربية، تقديم محي الدين صابر ، المكتبة الوطنية ، عمان، 2002.

الأنطولوجيات والرسائل الجامعية:

1. بن غوتي خيرة ، عبد اللاوي فتيحة، فن الترسل في العهد الرستمي، دراسة أسلوبية، (مذكرة ماستر)، جامعة تلمسان، 2014/2013.

2. رندة شايب، كنزة طاهري، الخطابة في العهد الرستمي، دراسة أسلوبية، (مذكرة ماستر)، جامعة العربي بن مهيدي أم البواقي، 2018/2017.

3. محمود بن مبارك بن حسين السليمي، أثر الفكر الإباضي في الشعر العماني في القرنين الثالث عشر والرابع عشر، دراسة أسلوبية، (أنطولوجة دكتوراه)، جامعة الأردن، تموز 2001.

الفهرس

قائمة المحتويات

البسمة

شكر و عرفان

إهداء

مقدمة	أ- د
الفصل الأول: الإباضية في الدولة الرستمية.	ب- 32
1- الأصول التاريخية للمذهب الإباضي:	6
أولاً: النشأة التاريخية.	6
ثانياً: الإباضية عقيدة ومنهجاً.	7
أ- دلالة التسمية:	7
ب- عقائد الإباضية:	11
ثالثاً: فرق المذهب الإباضي وأشهر أئمتة	14
أ- النكارية وعقائدها:	14
ب- النفاثية وعقائدها:	16
ج- فرقة الخلفية وعقائدها:	18
د- فرقة الحسينية وعقائدها:	19
هـ - فرقة السكاكية وعقائدها:	21
و- فرقة الفرثية وعقائدها:	21
رابعاً: الفرق الست وعلاقتها بالإباضية.	22
II- قيام الدولة الرستمية:	23
أولاً: نسب الرستميين:	23
ثانياً: نشأة الدولة الرستمية.	25
أ- الانتقال من القيروان إلى (المغرب الأوسط):	25

27	ب- تيهرت:
30	ثالثا: قيام الدولة الرستمية.
31	أ- حدود الدولة الرستمية:
31	ب- أئمة الدولة الرستمية:
32	ج- جدول أئمة الدولة الرستمية (160-296هـ/777-909م).
63-33	الفصل الثاني: النثر الفني في العهد الرستمي.
34	أ - النثر الفني في العهد الرستمي:
35	أولا: الخطابة.
36	أ- تحديد مصطلح الخطابة:
36	لغة:
36	اصطلاحا:
36	ب- الخطابة في العصر الرستمي وأهم موضوعاتها:
37	ج- موضوعاتها:
37	د- خصائص الخطابة في العصر الرستمي:
38	أنموذج من الخطابة الرستمية:
38	نص الخطبة: لأحمد بن منصور.
40	ثانيا: الترسل.
41	أ- أعلامه:
41	ب- موضوعاته:
42	انموذج: من فن الترسل الرستمي.
42	رسالة أبي اليقظان إلى جميع رعيته:
43	II- الترسل عند الإمام أفلح:
43	أولا: ترجمة الإمام أفلح بن عبد الوهاب.

44		ثانيا: موضوعات رسائل الإمام أفلح.
45		ثالثا: تحليل رسالتين للإمام أفلح.
45		أ- تحليل الرسالة الأولى:
45		1- نص الرسالة(1):
47		2- البناء الفكري:
47		2-1- مناسبة الرسالة:
47		2-2- مقدمة الرسالة:
47		2-3- مضمون الرسالة:
49		2-4- خاتمة الرسالة:
50		3- البناء الفني:
50		3-1- اللغة:
51		- الأسلوب:
52		3-3 أسلوب القرآن الكريم:
52		3-4 الاستفهام:
52		3-5 الأمر:
53		3-6 الأساليب الإنشائية غير الطلبية:
53		1- التعجب:
53		2- القسم:
53		3-7 المستوى البلاغي:
53		- الإستعارة:
54		3-8 تصريحية:
54		3-9 مكنية:
55		3-10 الكناية:

55	11-3 - التشبيه:
55	12-3 - التشبيه البليغ:
55	13-3 - المحسنات البديعية: ^(١)
56	14-3 - الطباق:
56	طباق السلب:
56	طباق الإيجاب:
56	15-3 - المقابلة:
57	16-3 - الجناس:
57	17-3 - السجع:
58	ب- تحليل الرسالة الثانية.
58	1- نص الرسالة (2):
58	2- البناء الفكري:
58	1-2- مضمون الرسالة ونوعها:
59	3- البناء الفني:
59	1-3- اللغة:
60	2-3- الأسلوب:
60	3-3- الأمر:
60	4-3- أما الأساليب الخبرية:
61	3-5- المستوى البلاغي:
61	- الصور البيانية:
61	الإستعارة المكنية:
61	- الكناية:
61	- الطباق:

- 61- الجنس:
- 62 ج- النتائج المستخلصة من الرسالتين:
- 62 د- الخصائص العامة لرسائل الإمام أفلح:
- 68-64 خاتمة

قائمة المصادر والمراجع

فهرس المحتويات

الملخص

الملخص

المخلص:

بحثت هذه الدراسة في قضية التأثير المذهب الإباضي في النص النثري الرستمي، واخترنا رسائل الإمام أفلح انموذجاً لذلك، لأننا رأينا فيها خير ممثّل لانشغالات البحث. وتطلب البسط هذه المسألة تقصي جذور المذهب الإباضي من نشأته الأولى منطلقاً من المشرق وصولاً إلى بلاد المغرب الأوسط، حيث تجذرت أصوله في ما يعرف بالدولة الرستمية. التي تتبعنا مراحلها التاريخية من النشأة إلى السقوط هذا فيما يخص الجانب التاريخي.

أما في الشق الأدبي فتطرّقنا للنثر في العهد الرستمي وخصصنا الدراسة التطبيقية لرسائل أفلح مستخرجين أهم معالم الإباضية من خلال تتبع لغة وأسلوب الإمام في تلك الرسائل المدروسة

- الكلمات المفتاحية:

الإباضية، الدولة الرستمية، النثر الفني، فن الترسّل.

Résumé

Cette étude du sujet : L'influence IBADHISTE sur l'écriture en prose officiel.

On a choisi les lettres de l'Imam 'Aflah' comme exemple parce que

On a vu du bien dans les préoccupations du thème.

cela demande la simplification de ce sujet qui déracine l'Ibadhiste dès sa première apparition de l'Orient en arrivant à la communauté Maghrébine Centrale là où ses racines s'approfondit dans les états connues Rostomiques.

On a poursuivit les étapes historiques de sa naissance à sa fin et cela du côté historique.

Dans le côté lettres ou linguistique ; on est allé à l'édition durant l'ère Rostomique et on a réservé l'étude d'application aux lettres d'Iflah

On faisant sortir les importantes conceptions d'Ibadhiste en suivant les langues et les méthodes de l'Imam à travers les textes étudiés.

Mots clefs :

Ibadhiste : état Rostomique ; l'édition artistique, l'art des correspondances .

المخلص:

بحثت هذه الدراسة في قضية التأثير المذهب الإباضي في النص النثري الرستمي، واخترنا رسائل الإمام أفلح انموذجا لذلك، لأننا رأينا فيها خير ممثل لانشغالات البحث. وتطلب البسط هذه المسألة تقصي جذور المذهب الاباضي من نشأته الأولى منطلقا من المشرق وصولا الى بلاد المغرب الأوسط، حيث تجذرت أصوله في ما يعرف بالدولة الرستمية. التي تتبعنا مراحلها التاريخية من النشأة إلى السقوط هذا فيما يخص الجانب التاريخي. أما في الشق الأدبي فتطرقتنا للنثر في العهد الرستمي وخصصنا الدراسة التطبيقية لرسائل أفلح مستخرجين أهم معالم الإباضية من خلال تتبع لغة وأسلوب الإمام في تلك الرسائل المدروسة

- الكلمات المفتاحية:

الإباضية، الدولة الرستمية، النثرالفني، فن الترسل.

Résumé

Cette étude du sujet : L'influence IBADHISTE sur l'écriture en prose officiel.

On a choisi les lettres de l'Imam 'Aflah' comme exemple parceque

On a vu du bien dans les préoccupations du thème.

cela demande la simplification de ce sujet qui déracine l'Ibadhistedés sa première apparition de l'Orient en arrivant à la communauté Maghrébine Centrale là ou ses racines s'approfondit dans les états connues Rostomiques.

On a poursuivit les étapes historiques de sa naissance à sa fin et cela du coté historique.

Dans le coté lettres ou lingustique ; on est allé à l'édition durant l'éreRostomique et on a réservé l'étude d'application au lettres d'Iflah

On faisant sortir les importantes cones d'Ibadhiste en suivant les langues et les méthodes de l'Imam à través les textes étudiés.

Mots clefs :

Ibadhiste : état Rostomique ; l'éditionartéstique,l'art des correspondances .